وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيل: 1335072110

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص :ادب حديث

بعنوان:

تجليات التراث في رواية "درب الأربعين" لماجد طه شيحة

إعداد الطالبة:

ربح تروني

أمام لجنة المناقشة:

د:عليوي عمر	جامعة المسيلة	رئيسا
د: زعيتري محمد	جامعة المسيلة	مشرفا ومقرر
د: خلوف مفتاح	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية:1438-1439هـ/ 2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية 07]

أحمد الله وأشكره أن وفقني لأداء هذا العمل وما كنت لأ بلغه لولا فضـ

إلى نبي الوجود عملا بقو، نبي لمق الله

سيد محمد صلى الله لميه وآ وسلم:

"من لم شكر الناس لم شكر الله"

كما أتقدم بـ أسمى عبارات الشكر ومنان والتقدر

لأستاذ المشر ف الدكتور "محمد زعيتري"

و إلى لجنة المناقشة التي تحملت عناء القراءة والتصويب.

الشكر موصول لكل من سادني لى إتمام هذا البحث

أفريل 2018

يعد التراث و تجلياته في رواية درب الأربعين ، لماجد طه شيحة ،هو روح الأمة ومقوماتها و تاريخها، حاملا لأفكارها و همومها و آلامها ، فالتراث هو الموروث الشعبي و الديني و التاريخي ...الخ ، أي كل ما نقل إلينا سواء من الناحية المادية أم المعنوية ، أما رواية درب الأربعين ، فهي رواية شاملة و زاخرة لشتى أنواع التراث و عناصره ، وهذا يعود إلى تعدد وتنوع الثقافات لهذا الكاتب ، لذلك كان موضوع بحثنا يدور حول تجليات التراث في رواية درب الأربعين .

وبناء على هذا حاولت أن نصيغ إشكالية الموضوع ، و التي دارت حول التساؤلات التالية : كيف تجلى التراث في هذه الرواية ؟ و فيما تمحورت أنواع التراث التي وظفها الكاتب في رواية درب الأربعين ؟ .

وقد واجهتني بعض الصعوبات و العراقيل و التي تكمن في تعدد المصادر و المراجع وكيفية توظيفها ، و كذا في تطبيق الأنواع التراثية في رواية درب الأربعين .

أما منهج دراستنا لهذا الموضوع فهو المنهج البنيوي التحليلي، باعتباره أكثر المناهج تعاملا مع هذا النص ، حيث وقع اختيارنا على هذا الموضوع ، وذلك لأن التراث مسألة مهمة في المجتمع ، فهو يعبر عن أصالتنا وهويتنا،ومن الأهداف التي توصلنا إليها هي البحث عن الإجراءات التطبيقية لظاهرة التراث و كيفية تجلياته في رواية درب الأربعين .

- وقد قسمنت البحثن كالآتي:

مدخل لماهية الرواية و علاقتها بالتراث ، وفصلين، الفصل الأول (نظري) ، وتطرقت فيه إلى ماهية التراث وأنواعه، تمثلت عناصره فيما يلي (المعنى اللغوي والاصطلاحي، ومفهوم التراث عند المحافظين، و عند أصحاب الحداثة ، الموقف الجدلي، بواعث توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، ثم أنواع التراث) .

أما الفصل الثاني ، فقد كان تطبيقا للفصل الأول ، أي طبقنا فيه تجليات التراث في رواية درب الأربعين، (تجليات التراث الديني، الصوفي، الشعبي، التاريخي، الأسطوري، الأدبي).

وأنهينا هذين الفصلين بخاتمة ، ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث .

كذلك استندنا على أهم مرجع ، تناول موضوع بحثنا ، ووظفناه بكثرة في مدونتنا ، كتاب توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، لمحمد رياض وتار ،لأنه جاء شاملا

لجميع العناوين، ومراجع أخرى: التناص التراثي لسعيد سلام ، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث للدكتور بوجمعة بوبعيو ... الخ .

ولا يسعنا في آخر القول إلا أن نشكر المولى عز و جل ، الذي بفضله و قدرته تم هذا العمل، ثم نتقدم بجزيل الشكر و العرفان للأستاذ المشرف "محمد زعيتري" على توجيهاته ونصائحه وصبره معنا خلال طيلة فترة البحث.

مدخل : مفهوم الرواية وعلاقتها بالتراث :

1- ماهية الرواية :

لقد اختلف النّقاد في تعريف الرواية ولم يجدوا لها تعريفا محددا أو دقيقا ، للعديد من الباحثين والنقاد وهذا ما يقوله النّاقد (واين بوث) Woune Booth[1]، مبينا بوضوح مدى صعوبة التوصل إلى تعريفات شاملة فيما يتعلق بالرواية ، بل إنّ بعض المحاولات التي تستهدف وضع تعريف الرواية قد تجد نفسها مجبرة على اللجوء إلى ما يشابه الحوار الذي نجده في الفن القصصي نفسه ، شأن ما يذكره إي إم فورستر (وهو بالطبع روائي مشهور)، إذ يقول « الرواية كتلة هائلة عديمة الشكل إلى حد بعيد ... إنها بكل وضوح تلك المنطقة الأكثر رطوبة و نداوة في الأدب حيث ترويها آلاف الجداول ، و تنحط أحيانا لتصبح مستنقعا أسناً »[2] Em Forster ،حيث يعتبرون الرواية على أنها ذلك النوع من الأدب الذي يتناول أساسا عملية التغيير ، كمرآة عاكسة لهذه العملية و لذا بحكم تعريفها في حدّ ذاته ،يمكن القول أنّ الرواية معرضة لنفس العملية التي تستهدف أن تغوص و تبحث فيها ،أي أنها معرضة للتغيّر و التبدّل المستمر [3].

يعني هذا أن الرواية تتغير من رواية بحسب مضمونها ، أما "جاك بارزون " JaquesBarsun فيقول عن الرواية أنها النمط الأدبي الذي أخذ يشق حربا لا هوادة فيها على آخرين اثنين – ثقافتنا و ما هو بطولي[4]، وقد اتخذت الرواية في عهد ما بعد الثورة الصناعية موضوع تنامي المدينة المعاصرة و التحولات الاجتماعية لدى الطبقة الوسطى موضوعا رئيسا لها، و الرواية بطبيعتها ترتدي ألف شكل وشكل أمام القارئ تحت ألف اسم ممّا يُعتَبرُ تعريفها تعريفا جامعا مانعا ذلك لأننا نلقي الرّواية تشترك أحيانا مع الأجناس الأدبيّة الأخرى مثل اشتراكها مع الحياة و الأسطورة ، وذلك لأنالرّواية تعترف بشيء من النهم و الجشع ، من هذين الجنسين الأدبيين العريقين ، و ذلك على أن أساس أن الرواية المعاصرة الجديدة أو الرواية المعاصرة بشكل عام لا نلقي أي غضاضة في أن تغني نصفها السّردي بالمأثورات الشعبية و المظاهر الأسطورية و الملحمية جميعا ، كما أنّ الرواية تشترك مع الملحمية في طائفة من الخصائص ، و ذلك من حيث أنها تسرد أحيانا وتسعى لأن تمثل الحقيقة ، وتعكس مواقف الإنسان و تجسد ما في العالم ، أو تجسد من شيء مما فيه على الأقل ، وذلك أن الرواية تستميز عن الملحمة بكون الأخيرة شعرا

---

[1]- روبرت آلن ، ترجمة إبراهيم منيف ، الرواية العربية (مقدمة تاريخية و نقدية) المجلس الأعلى للثقافة ،1988 ، د.ط ، ص17-18 .

[2]- المرجع السابق ، ص17-18.

[3]- المرجع السابق ،ص19.

[4]- المرجع السابق ،ص21 .

على الرواية فهي تحاول عكس حياة إنسانية أكثر حركة ،ضيقة الحدود ، مما يجعلها تتسم بالحركية و السرعة [5].

و أما ميلها إلى المسرحية أو اشتراكها معها في خصائص معينة و استلهامها لبعض لواحقها الخشبية، فالرواية هي أيضا شيء قريب من ذلك ، لأن الرواية في أي طور من أطوارها لا تستطيع أن تفلت من أهم ما تستميز بشيء من ذلك ، فلعل هذه الأسباب مجتمعة أو منجمة ، أن تفضي إلى جعل الرواية ذات ارتباط وثيق بعامة الأجناس الأدبية الأخرى [6]، فالرواية بطبيعتها تسترك بمختلف الأجناس الأدبية مثل القصة ، المسرحية ... الخ ، إلا أنها تختلف عنهم في بعض الحالات مثل الحجم ، الموضوع ، فهي في الغالب تعالج قضايا المجتمع و السعي إلى حلها ، و تختلف عن المسرحية لأنها لا تكون على خشبة المسرح ، كما أن الرواية تعتمد على عنصر الزمان والمكان ، الشخصيات، و كذا العقدة و حلها .

و يطلق النقاد و المبدعين في الغرب و الشرق مصطلح (رواية) ، و بعضهم الآخر يطلق عليها مصطلح قصة ، و هي عندهم تعني (الرواية) ، أي القصة الطويلة ، فالرواية (ROMAN) ، تعرف بأنها سياق حوادث متصلة ، ترجع إلى شخص أو أشخاص يدور ما فيها من الحديث عليهم [7] ، ففيها يعالج المؤلف موضوعا كاملا أو أكثر فلا يفرغ القارئ منه إلا و قد ألم بحياة البطل أو الأبطال في مراحلها المختلفة ، و ميدان الرواية فسيح أمام الراوي ، يستطيع بفضله أن يكشف عن أبطاله و حقيقتهم مهما طالت النهاية ومهما استغرقت من وقت [8] ، أي أن الروائي عند كتابته الرواية يكون الموضوع المعالج مبهما و غامضا ، و كذا الشخصيات الرئيسية ، و تكون كثير من الأسئلة دون إجابات ، إلا أنه في نهاية الر ّواية يفك الإبهام و الغموض ، و توضح الصورة للقارئ .

أما محمد الدغموني يـُعرف الرواية بأنها شكل من أشكال الثقافة ، و هي بقدر ما تحضن نفسها كبنية ذات استقلال تبقى واحدة من عناصر كثيرة تشكل بنية الثقافة [9] ، فالرواية تستمد موضوعاتها من ثقافة المجتمع ووضعيتهم ، لذلك من الطبيعي أن تشكل ثقافة المجتمع .

---

[5]- عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ،(بحث في تقنيات السرد) ، السلسة عالم المعرفة 1998 ، ، د. ط ، ص11-12-13، بتصرف .

[6]- المرجع السابق، ص13

.

[7]- - سعيد سلام ، التناص التراثي ، الرواية الجزائرية أنموذجا ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ،ط 1 ، 2010م ،ص20.

[8] - المرجع السابق ، ص 20

[9]- محمد الدغمومي ، الرواية المغربية و التغيير الاجتماعي، دراسة سوسيو ثقافية ، إفريقيا الشرق للنشر د. ط ، ص43.

و قد عرف مصطلح الرواية عبر العصور عدة مفاهيم اصطلاحية إلى درجة أننا نجده يقف عند حد القصة الطويلة ، وهذا لا يعني تطابق القضيتين القصة و الرواية و الارتباط التام ، ولكن يمكننا أن نبرز الفرق بينهما بكلمة واحدة هي أن الفرق الرئيسي ليس في الطول أو الحجم كما يرى بعض الدارسين ، بل هو قبل كل شيء في الشكل الفني الخاص بكل منهما .

ومحمد كامل الخطيب يعرف الرواية بأنها جنس أدبي ظهر مع بداية مرحلة التشكيل البرجوازي للمجتمع الأوروبي الحديث ، (رواية دوت كيشوت مثلا) يمتاز هذا الجنس باعتماده النشر أداة في عرضه وقائع الحياة ضمن سياق حكاية متخيلة [10] ، ففي هذا التعريف نجد محمد كامل الخطيب يقدم تصورا للرواية على أنها لون من الألوان الأدبية النثرية مثل القصة الطويلة ، و الحكاية ، إلا أنها تختلف عنهم في بعض الحالات ، وتسعى الرواية للتعبير عن الحياة بمجال أوسع من واقع المجتمعات ، أما سعيد يقطين فيعرف الرواية بقوله : " الرواية نوع أدبي جديد في الإبداع الأدبي و الثقافي العربيين و الرواية باعتبارها نصا شأنها في ذلك أي كيفما كان جنسه أو نوعه ، تتفاعل مع مختلف النصوص كيفما كانت طبيعتها " [11]، و يعني بذلك أن الرواية إبداع فني جديد يعبر عن الحياة الاجتماعية ، تندمج مع جميع النصوص الأدبية بمختلف تنوعاتها .

و يؤكد هنري جيمس في تعريفه للرواية بأنها انطباع شخصي مباشر للحياة بادئا ذي بدء ، تتلخص قيمتها التي تعظم و تصغر تبعا لحدة الانطباع [12] .

و يعني بذلك أن الرواية تتميز بالوحدة الانطباعية ، تنشأ من انطباع الشخص الذي يعيش الحياة ، ذو مستوى علمي و فكري .

و تعد الرواية من أهم الفنون الأدبية ، ولذلك نرى أن معظم النقاد الغربيين للرواية يركزون عليها و يولونها مزيدا من العناية ، فبرسي لبلوك " يرى أن الرواية ما هي إلا صورة، أو لوحة فنية للحياة يتصورها الإنسان في البداية ثم يعمل فكره و ذوقه في اقتفاه مواطن الصدق و الكذب فيها ، أي فيما إذا كانت الصورة المأخوذة من الحياة حقيقة واقعة ويوجد ما يشبهها في الواقع أم أنها صورة مزيفة عنه [13]، و هذا يعني أن الرواية موضوعها الأساسي هو التعبير عن حياة المجتمع و قضاياه المتنوعة ، إلا أنها أحيانا تعتمد الحقيقة أو الخيال ، لكن في الغالب معظم قضاياها واقعية لأنها تعالج واقع المجتمع بالدرجة الأولى .

---

[10]- محمد كامل الخطيب ، الرواية و الواقع ، دار الحداثة ،بيروت ، ط 1 ، 1981 ، ص 106 .

[11]- سعيد يقطين ، الرواية و التراث السردي ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، ص 10 .

[12]- سعيد سلام ، التناص التراثي ، ص 22 .

[13]- المرجع السابق ، ص 23 .

غير أن هذا التعريف الذي اقترحه بورسي لبلوك يمكن أن ندرجه للرواية الذي نراه يحيط بمفهومها بشيء من التفصيل هو الذي يقول " بأنها ضرب من الخيال النثري ، له مهمة خاصة به و هي تقص أعمال الرجل العادي ، في حياته العادية بعد أن تضعها في شبكة من حوادث كاملة الخطوط متتبَّعة كل فعل إلى أدق تفصيلاته و أجزاءه ، وسوابقه و لواحقه، موغلة في دخيلة النفس لتبسط مكنونها أثناء وقع الفعل ، مستعرضة الآثار الخارجية للفعل حينا آخر ، لا تترك من جوانبه و ملحقاته و نتائجه شاردة ولا واردة، إلا و سجلتها في أمانة و صدق كما تحدث في الحياة الواقعية التي يخوضها الناس و يمارسونها[14].

وهناك من يعرفها بقوله " الرواية هي أوضح تعريفاتها و أكثرها شيوعا ، فهي كتابة نثرية تصوّر الحياة أو هي ذلك الشكل الأدبي الذي يقوم مقام المرأة للمجتمع ، مادتها إنسان في المجتمع و أحداثها نتيجة لصراع الفرد[15] هذا التعريف صوّر الرواية تصوّيرا دقيقا بأنها مادة المجتمع أي تعالج صراع الفرد أو حياته داخل المجتمع ، إلاّ أنه هناك تعريفات أخرى للرواية بحسب دراساتهم لها .

نستنتج في الأخير من خلال هذه التعريفات للرويلة بأن هناك تعريفات متقاربة و أخرى مختلفة ، لكن في النهاية توصل معظم الباحثين بأن الرواية عبارة عن جنس أدبي يعبر عن الحياة من أجل حل مشاكل الجميع .

2- نشأة الرواية العربية و تطورها :

ظهرت الرواية كنوع سردي جديد في العصر الحديث عن طريق التطور الذي نجم عن ظهور وسائل تكنولوجية جديدة أدت إلى ظهور وسئط جديدة في الإبداع و التواصل و التلقي و التي ستتطور مع الزمن حاملة اسم الإعلام أو الوسائط [16].

و يقصد بهذا التعريف بأن الرواية فن جديد في الأدب العربي ، ظهر من منتوج الفرد و إبداعاته الفكرية ، لكن ازداد ازدهارا و تطورا من خلال وسائل الإعلام و الاتصال مثل الحاسوب ، الترجمة ، الصحافة ... الخ ، كل هذه الوسائل سعت إلى تطور الرواية العربية و ازدهارها .

---

[14]- سعيد سلام ، التناص التراثي ، ص .23 .

[15]- عبد الرحيم محمد عبد الرحيم ، دراسات في الرواية العربية ، دار الحقيقة للإعلام الدولي ، 1991 ، 1990م -1410هـ ، ط 1 ، ص 03 .

[16]- سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الحديثة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2012 ، ص34 .

و في البداية نجد معظم النقاد من الشرق و الغرب يكادون يجمعون على أن الرواية من الفنون النثرية الحديثة التي لم تعرفها العصور القديمة ، و إنما نشأت مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية و ما صاحبها من تحرر الفرد من ربطة القيود التي كانت مضروبة على حريته الشخصية، إذ أن كلمة الرواية استخدمت لأول مرة في إنجلترا في القرن السادس عشر و أما الرواية الحديثة فيبدأ تاريخها منذ القرن الثامن عشر[17]، أما عن نشأة الرواية في الأدب العربي الحديث فهي نشأة حديثة ، جاءت مواكبة لعصر النهضة ، أي مطلع القرن التاسع عشر ، و قد كانت مصر مهدها ، و قد جاء ذلك في قول سعيد الورقي " و لقد كانت مصر رائدة في هذا الميدان ، حيث استطاعت أن تثبته إلى هذا الفن الجديد ثم نبهت إلى ضرورة خلق مثله في مصر و في العالم العربي " [18] ، حيث ظهرت البدايات الأولى لهذا الفن الجديد مع بداية الصراع بين التأثر بالأدب العربي القديم و بين التأثر بالأدب القديم وبين التأثر بالأدب الأوروبي الحديث ، ذلك الصراع الذي يأخذ شكل الظاهرة الواضحة على الحياة الأدبية في العالم العربي ، و قد كان الرواية في الأدب العربي مواكبا لبداية عصر النهضة الحديثة ، و لم يعرفها الأدباء في القديم و ما بعده بعضهم داخلا في إطار الرواية كسيرة عنترة بن شداد ، وقصص سيف بن ذي يزن ، أو بني هلال و الوزير سام و غيرها، ليس سوى أخبار بطولية ، كانت تقص في أثناء الاجتماعات و حلقات الأسمار ، وكانت الغاية منها التسلية لا غير ، لا ريب من اتصالنا بالغرب أثر كبير في انتشار هذا الفن في أدبنا العربي ، وكما مرت القصة بطور الترجمة ، فالاقتباس و الوضع ، كذلك كان الحال بالنسبة للرواية ، فقد تطورت خلال التاريخ ، حين كان في باريس و تدور أحداثها في الريف المصري ، الذي قصد الكاتب عرض مناظرة فيها أكثر من العناية بفن الرواية ذاتها ، أما فترة ما بين الحربين العالميتين فيبرز لنا (طه حسين) في كل روايته (أديب ، دعاء الكروان ، شجرة البؤس ، فيدفع بالرواية خطوات نحو الأمام ، ويتجلى ذلك حين لجأ إلى التحليل و التصوير و الاجتماعيين في رسم شخصياته ، ثم تلاه (توفيق حكيم) في روايات متعددة مثل (يوميات نائب في الأرياف ، عصفور من الشرق ، عودة الروح ، الرباط المقدس) و في عام 1929 م أصدر (محمد تيمور) روايته (نداء المجهول) التي استمد موضوعاتها من الروحانية الشرقية و جرت أحداثها في مصيف لبناني و إلى جانب هؤلاء جميعا كتاب مريدون ، يضيق المجال عن ذكرهم .

---

[17]- سعيد سلام ، التناص التراثي ، ص 21 .

[18]- سعيد الورقي ، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط 1 ، 1997 ، ص15 .

وقد أسهم كل واحد منهم في دفع عجلة هذا الفن ، لكن النهضة الحقيقية للرواية كانت على يد جيل ممن تخرجوا في الجامعات المصرية ، خاصة فنالوا حضًّا من هذه الثقافة مكنّهم من بذل جهود كبيرة محمودة في الميدان (علي أحمد باكثير ، عبد الحميد جودة ، السحار ، يوسف السباعي ، يوسف إدريس ... وغيرهم) [19] .

و يمكن القول أن الفضل في ظهور الرواية يرجع إلى عاملين أساسين هما : الصحافة و الترجمة ، فقد نشر (سليم الباشتاني) في (مجلة الجنان) [20] التي أنشأها والده(بطرس البستاني) ، و روايات عديدة منذ عام 1870 م ، منها الهيام في جنان الشام ، زنوبيا ، ملكة تدمر ، بدور أسماء ... و غيرها ، و كان له الفضل في شق الطريق أمام عدد كبير من الكتاب فيما بعد ، و كان لإنشاء مجلات (المقتطف و الهلال و المشرق) أثر واضح في تشجيع هذا الفن فقد ترجمت بعض الروايات من الفرنسية خاصة ، و كانت الترجمة محرفة حينا و مبتورة حينا غير وافية و جاء بعد (سليم البستاني) (جورجي زيدان) ، منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى عام 1914 م ، السنة التي توفي فيها ، فقد كان له الفضل هذا الأخير للالتفات إلى التاريخ العربي الإسلامي ، يستمدمنه رواياته من الدولة الأموية و العباسية و الأيوبية ، حتى بلغت إحدى و عشرين رواية ، و في المرحلة ذاتها وجد (فرح أنطون) الذي اتجه بروايته اتجاها اجتماعيا، كما ترجم بعض الروايات إلى الفرنسية مثل (نيقولا حداد) ، (بول فرجيني) ، ولهذه الثلاثة يرجع الفضل في إرساء قواعد هذا الفن الروائي في تلك الفترة في عصر النهضة .

و إذا ألقينا وراء البحار و جدنا في أمريكا الشمالية بذور الرواية على يد جبران خليل جبران في (الأرواح المتمردة و العواصف و الأجنحة المنكسرة) منذ 1908م ، حتى 1913م ، و قد دارت هذه الروايات كلها حول موضوعات اجتماعية عاطفية منها الثورة على العادات و التقاليد السائدة آنذاك [21] .

نجد من خلال ما سبق أن الرواية نشأت نشأة حديثة، وتأثرت بمختلف الوسائل التكنولوجية مثل الحاسوب ، الطباعة ، الترجمة ، و تأثرهم بالغرب ، و هذا كله كان سببا في ظهور الرواية العربية و تطورها بشكل كبير .

3- علاقة التراث بالرواية :

[19]- عزيزة مريدن ، القصة و الرواية ، دار الفكر ، دمشق ، ط 1 ، 1980 م ، ص 76 .

[20]- المرجع السابق، ص 76.

[21]- عزيزة مريدن ، القصة و الرواية ، ص 77 .

يعود توظيف الأشكال السردية القديمة في الخطاب الروائي إلى بدايات هذا القرن و لعل ما جاء في (ألف ليلة و ليلة) و غيرها من حكايات و قصص ، كان من العوامل الملائمة لطبيعة الشكل الروائي ، فإذا لم تصلح ألف ليلة و ليلة لكي تكون بداية من بدايات القصص قي الأدب العربي ، فإنها و لا شك تصلح مضمونا لكي تستثمر في أشكال مختلفة في فن الرواية و القصص الحديث [22] .

و لا بد من دراسة ظاهرة التراث في الرواية العربية المعاصرة ، من العودة إلى مراحله الأولى للكشف عن الأشكال القصصية التراثية التي سبقت دخول الرواية إلى الثقافة ، وكيف تم التعامل مع هذه الأشكال و الأنواع [23] ، و للكشف عن هذه الأنواع بمختلف عناصرها، لابد من معرفة هذه الأنواع بالدرجة الأولى ، وذلك من أجل التعرف عليها في الرواية وكيفية بثها و استخراجها .

و لعل البدايات الأولى لاستلهام التراث في العربية نجده مبثوثا في بعض أعمال الكتاب مثل طه حسين (أحلام شهرزاد) و فاروق خورشيد (سيف بن ذي يزن) و نجيب محفوظ (أولاد حارتنا) و الطريق [24].

فهذه البدايات الأولى لتوظيف التراث يغلب عليها طابع التصريح به مباشرة ، و ذلك من خلال العناوين الروائية التي تحمل أسماء لشخصيات تراثية مشهورة ، و كذلك الشأن بالنسبة للمضمون الفكري الذي حاولت أن تجسد كل رواية و تشخصه على حدى .

نستطيع القول فيما يخص علاقة التراث بالأشكال الروائية من خلال فعل الكتابة الروائية ذلك السرد العربي القديم الثري بأشكاله و مضامينه ، و بما أن أوجه هذه العلاقات ما بين السرد القديم و السرد الحديث كثيرة و متنوعة فإننا أثرنا أن نحصرها في الشكلين الآتيين :

الشكل الأول :ينطلق النص السردي القديم من شكل سردي قديم ، قد يكون مجهول الكاتب مثل الرواية ، الرحلة ، والحكاية ، ويظهر أسلوب الشكل السردي في الخطاب الروائي بصورة أو بأخرى ، إما في أشكال السرد (الحكي) ،وأ في لغاته أو في طرائق تعبيره و أسلوبه .

الشكل الثاني : ينطلق النص الروائي من النص السردي قديم ، قد يكون معروف المؤلف ، ومن خلال عملية التحاور و التفاعل النصي معه ، يتمخض عن ذلك إنجاز نص روائي ذي دلالة جديدة تعبر عن العصر الذي كتب فيه [25] .

---

[22]- بوجملة سميرة ، توظيف التراث الشعبي في رواية " صوت الكهف " لعبد الملك مرتاض ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، 2015-2016 ، ص 10 .

[23]- المرجع السابق ، ص 10 .

[24]- سعيد يقطين ، الرواية و التراث السردي ، ص 31 .

[25]-سعيد سلام ، التناص التراثي ، ص 38-39 .

مما يشهد به للتراث العربي تنوعه و جماله و تأثيره في الأدب الإنساني و ذلك من خلال أشكاله و عناصره المتنوعة و المختلفة من شكل إلى آخر ، و يكفي أن نذكر" ألف ليلة و ليلة " أو " رسالة الغفران " ، ليتجلى امتداد هذا الأدب و تأثيره في كتاب عالميين كبار ، و لعل الرواية بطبيعتها الموسوعية و قدرتها على احتضان أجناس أدبية متعددة وشهرتها العصرية أيضا ، أن تجعلها مؤهلة أكثر من غيرها لتحقيق عملية التوظيف [26] .

بناء على ذلك يمكن القول أن العلاقة بين الرواية و التراث علاقة متداخلة و متشابكة في بعضها البعض ، أي علاقة تأثير و تأثر ، وذلك باعتبار التراث تراث الأمة العربية و عرقها ، لذلك نجد أن له أهمية بالغة عند العرب أما فيما يخص الرواية فنجدها قادرة على توظيف و احتضان كمية هائلة من الأجناس الأدبية بمختلف تنوعاتها و تفرعاتها ، و هذا يعود إلى عمق الرواية العربية و جمالها .

[26]- مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، (بحث في الرواية المكتوبة بالعربية) ، منشورات دار الأديب ، ط1 ، ص 15 .

الفصل الأول

ماهية التراث و أنواعه

1.مفهوم التراث .

أ- المعنى اللغوي .

ب- المعنى الاصطلاحي .

2- التراث عند العرب .

3- مستويات التراث .

4- مواقف من التراث .

5- بواعث توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة .

6- أنواع التراث .

أ – التراث الديني .

ب – التراث الصوفي .

جـ - التراث الشعبي .

د - التراث التاريخي .

هـ - التراث الأسطوري .

و – التراث الأدبي .

1 -مفهوم التراث :

أ- المعنى اللغوي :

لقد اختلف الكثير من الباحثين أو الدارسين في تحديد المعنى اللغوي للتراث لذلك تعددت تعريفاته عند الأدباء و المعاجم ، وللوصول إلى تعريف دقيق للتراث لابد من الوقوف عند جميع تعريفاته .

إن لفظ التراث مشتق من الجذر اللغوي الثلاثي" َ ث َ " : و يعرفه ابن زكريا: و َ ر َ ث َ هو الورث والميراث هو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير للآخرين بنسب أو سبب أما لويس اليسوعي فيعرفه :ورثه : أعقبه إياه . توارث القوم المال و المجد أي ورثه بعضهم عن بعض قدما ، والإرث و الوارث و الو َ راثة و التراث و الموروث صيغ مصدرية بمعنى ما يخلفه الميت لورثته الذي ترك الميراث أو الشيء [1] .

ويذهب جبران خليل جبران مسعود في تحديده لتصنيف الموروث : هو ما ينتقل من عادات و تقاليد و علوم و آداب و فنون و نحوهما من جيل إلى آخر [2] ،

و قد جاء في لسان العرب ورثه ماله و مجده ، وورثه عنه ورثا ورثة و وراثة و إراثة [3] ، و نقول أورثه الشيء أبوه ، وهم ورثة فلان و ورثه توريثا ، أي أدخله في ماله على ورثته وتوارثوه كابرا عن كابر [4] .

أما الوارث صفة من صفات الله عز وجل و هو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق بأولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون [5]، وقوله تعالى أيضا من سورة الفجر { يرثون التراث أكلا لما } تقول التفاسير في هذه الآية أي تجمعون الميراث و تستولون عليه دون تفرقة في

---

[1]- محمد عبد الرحمن الجبوري ، عادل سالم ، عصام عبد الأحد ، مستويات توظيف الموروث الشعبي في العمل الفني ، بحث مستل من أطروحة دكتوراه ، فلسفة ، (توظيف الموروث الشعبي في المنظر المسرحي العراقي ، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد التاسع و الخمسون ، ص 668 .

[2]- محمد عبد الرحمن الجبوري ، مستويات توظيف الموروث الشعبي في العمل الفني ، ص 668

[3]- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ورث ، المجلد التاسع ، سنة الطبع 1423هـ -2002 م ، ص 269 .

[4]- المصدر السابق ص 269 .

[5]- من سورة المؤمنون ، الآية 11 .

أنصبتكم و أنصبة شركائكم فيه، أو دون تفرقة بين ما جمعه الموروث بالطرق المشروعة ، وما جمعه بالغش و الخداع و غيرها من الطرق الغير مشروعة [1] .

كما نجد كلمة " تراث "وردت في القرءان الكريم في سياقات كثيرة منها قوله تعالى{ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا }[2] ، و يقصد بذلك في التفسير أن لا يأكل المسلم مال أخيه المسلم وخاصة مال اليتيم ، و الحرص على حقوقه في الميراث و الإحسان إليه ، لقول الرسول عليه السلام: " أنا وكافل اليتيم كهاتين " .

و قد وردت كلمة ميراث و توارث في القرآن الكريم في سورة مريم على لسان زكريا عليه السلام في قوله تعالى{ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا }[3] فهو يعني بذلك وراثة النبوة و العلم و الحكمة و الفضيلة دون مال.

وفي آية أخرى و لقوله تعالى{ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ }[4] ، و المقصود هنا وراثة العلم والنبوة و كذلك الآية الكريمة الموالية{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }[5] .

إذن في الأخير التراث هو ما تخلفه الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة ، أو ما يخلفه الأجداد كي ينهل منه الأحفاد ، و يضيف إليه جيل بعد جيل من خبرات حياته ، على أي شكل كان من خلال العمارة أو الكتابة أو النقش. والتراث بمعناه الواسع هو كل ما خلفه السلف سواء ماديا أو معنويا .

ب- المعنى الاصطلاحي :

---

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري ، التراث و الهوية منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة ، إيسوسكوا ، 1432 هـ /2011 م ، د . ط ، ص 12 .

[2]- من سورة الفجر ، الآية 17-20 .

[3]- سورة مريم ، الآية 06 .

[4] - سورة النمل الآية 16 .

[5]- سورة فاطر ، الآية 32 .

لقد اختلف الباحثون في المعنى اللغوي و كذا الاصطلاحي ، لأن كلمة التراث من أكثر الكلمات المتداولة و تناولها الأدباء من زوايا متعددة ، وهناك من اشتركوا و اختلفوا في تعريف واحد للتراث .

فمنهم من يرى أنّ " التراث هو كل ما ورثناه تاريخيا من البعيد "[1]والمقصود بذلك هو كل مل خلفته الأمة العربية من تاريخها و أصالتها كالشخصيات التاريخية التي لها دور في العلم و المقاومة و النضال ، و الأماكن التاريخية كالأندلس و غيرها من المدن التاريخية ، والعمران ... الخ .

أما الباحث عبد النور جبور فيعرف التراث بأنه يشمل العادات و التقاليو التجارب والخبرات و الفنون ... ، يعني أنه جزء أساسي من موقفه الاجتماعيو الإنساني و السياسي و التاريخي ، فهو من مكونات شخصية و نفسيته ، فهو الكل الشامل لما يتعلق بالإنسان في ماضيه القريب أو البعيد [2]، و يعني بذلك أن الإنسان هو المكون الأساسي لجلب التراث و تكوينه و ذلك من خلال ماضيهم .

أماً بالنسبة لسعيد يقطين فيوسع مجال التراث و يربطه بكل ما خلفه لنا العرب و المسلمون من جهة ، ويتحدد زمنيا ، بكل ما خلفوه لنا قبيل عصر النهضة من جهة ثانية [3] ، و المقصود هنا أن سعيد يقطين قام بتوسيع مجال التراث بشكل كبير لأنه ربطه بكل ما خلف السلف القدامى ماديا و معنويا ، كالعمران ، والأدب والتاريخ، اللغة والدين...الخ ، و هذا التراث بقدر ما تهب عليه رياح الحداثة فإن معناه سيبقى جاريا، وبذلك تكون أهم سمة تميز بها هذا التراث هو الاستمرارية و الامتداد ، أي أنه متداول بين أفراد المجتمع الواحد، وعناصره منتقلة من جيل إلى

[1]- جدعان فهمي ، نظرية التراث ، دار الشروق ، عمان ، ط1 ، ص 20 .

[2]- سهام معمري ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية " الحوادث و القصر " لطاهر وطار ، مذكرة لنيل شهادة الماستر 2014-2015 جامعة المسيلة ص 11 .

[3]- سعيد يقطين ، الكلام و الخبر ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، ص 17 .

جيل ، فلا يكاد يفنى جيل إلا و يستلمه جيل آخر[1] ، أي أنه متوارث عن جيل و يستلمه جيل آخر .

و بهذا يصبح مدلول التراث يشمل كل الجوانب الروحية و المعنوية لأي أمة أو شعب من شعوب العالم منذ أقدم العصور إلى الآن ، فالتراث بمعنى الموروث الفكري و الثقافي وحتى المتوارث من قبل الأدباء و الأجداد ، الذي يشمل كل العادات و التقاليد والحضارات القديمة و ماضيها التي ازدهرت و شكلت لنا ميراثا جميعا ، سواء كانت مدونة في كتب وملفات أو أثرية مثل المخطوطات و الآثار الحجرية التي ينبغي التمسك بها وبالهوية و الذات و حماية التحديات الخارجية.[2]، لأن التراث مرآة الحاضر و التطلع للمستقبل لإثبات روح الذات.[3] و المقصود بذلك أن التراث المنقول من الماضي ، أصبح موجودا في الحاضر و سعوا لإثباته في المستقبل الآتي للأجيال اللاحقة ، و هذا يدل على أصالتهم وحبهم للتراث فهو منقوش في قلوبهم .

فالتراث هو ثورة فكرية ، تفرز حكمة بالغة ، و يعبر عن مضمون إنسان عميق و هو بمثابة ذاكرة حية و جماعية للشعوب ، تحدد للإنسان سلوكه الجماعي وتمكنه من اكتساب دراية بمسؤوليته نحو التراث [4] ، و بما ان التراث يحدد سلوك الإنسان باعتباره يمثل ذاكرة المجتمع ، و بالتالي له قيمة و درجة كبيرة في المجتمع فهو بمثابة سجل المجتمع ، لذلك يجب على كل شخص أن يحمل مسؤولية اتجاه تراثه بالحفاظ عليه و تطويره و إبرازه للتعبير عن روح الشعب ، و نجد الباحث (طارق بن زيادة) يؤكد أن التراث هو حضور الأصل أي الأدب (الماضي السلف) وفي (الحاضر ، الخلف) ، وله مفهومان واسعان الأول يقتصر على الناحية المادية

---

[1]- الضاوية عاشور، توظيف التراث في رواية حارسة الظلال ، لوسيني الأعرج ، مذكرة لنيل شهادة الماستر 2015-2016 – جامعة المسيلة ، ص 13 – 14 .

[2]- بوجملة سميرة ، توظيف التراث الشعبي في رواية " صوت الكهف " لعبد الملك مرتاض ،مذكرة لنيل شهادة الماستر 2015-2016 ، جامعة المسيلة ، ص 5-6 .

[3]- سعيد ، سلام التناص التراثي ، ص 13-17 .

[4]- مصطفى الشاذلي ، التراث اللغوي الشفاهي ، منشورات لكلية الآداب و العلو الإنسانية بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة 2005 ، ط1 ، ص15 .

ممثلة في الكتب و المكتبات و الثاني جعله في الناحية المعنوية ممثلة في القيم التي تؤثر في الحاضر و السلوك الناتج عن تلك القيم [1]، حيث يرى حاتم الصكر " أن التراث و التقليد و المأثور يتداخلان تداخل الجزء بالكل ، فالتراث هو ميزة يخلفه السلف كأي شيء آخر مادي أو معنوي ، غير أن البعض يرى أن التراث ليس الكتب و المحفوظات و الإنجازات التي نرثها عن الماضي ، و إنما هو القوى الحية التي تدفعنا باتجاه المستقبل [2]، فالتراث إذن ثري لا ينصب من المعرفة و مصدر الهوية ، والتراث في الحضارة بمثابة الجذور في الشجرة وكلما غاصت وتفرعت الجذور كانت الشجرة أقوى و أثبت على مواجهة تقلبات الزمن ، ومن الناحية العلمية هو علم ثقافي قائم بذاته ، يختص بأحد قطاعات الثقافة، ويلقي الضوء عليها من زوايا أثرية و تاريخية وجغرافية و اجتماعية و نفسية .

و في سياق آخر نستطيع القول أن " التراث " هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة ، فهو إذن قضية موروث في نفس الوقت معطى حاضر على العديد من المستويات [3].فهو عبارة عن حضارة ، و الحضارة ناشئة بفعل الزمان و المكان ، واستمرار الماضي في الحاضر على مدار العصور .

و يوضح سعيد يقطين في موضع آخر من الكُتاَّب عن الحق ، أن التراث مفهوم ملتبس نظرا لأنه ارتبط بالزمن ، وأصبح لصيقا بفترة محددة، فهو بذلك ينطوي على موقف إيديولوجي ككثير من المفاهيم الفضفاضة [4].

و هناك من حاول أن يعرفه بقوله التراث هو الثقافة ، أي العناصر الثقافية التي تلقاها جيل عن جيل ، أو التي انتقلت من جيل إلى جيل آخر ،و نجد أن مفهوم التراث كما يستخدمه علماء الأثنولوجيا الأوربيون ، والفولكلوريون أيضا ، قريب من مفهوم الثقافة أو مرادف لها [1]، وهذا ما يدل على أن التراث الثقافي له أهمية كبيرة

---

[1]- بوجمعة بوبعيوا، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ، جامعة باجي مختار ، منشورات مخبر الأدب العربي القديم الحديث ، مطبعة المعارف عنابة ، 2007، ط1 ، ص 10 .

[2]- المرجع السابق ، ص 10

[3]- حسين حنفي ، التراث و التجديد ، و موقفنا من التراث القديم ، بيروث ، الحمراء ، 1412 هـ -1992 م ،ط1 ، ص13 .

[4]- مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 41 .

لذلك أنشأت المديرية العامة للأمن الوطني في نهاية سنة 1996 م فرقة مركزية متخصصة في مكافحة المساس بالتراث الثقافي . و بالتالي التراث متنوع في جميع المجالات ثقافيا ، اجتماعيا ، تاريخيا أدّبيا.الخ ، كما نجد كلمة التراث من الكلمات تداولا على لسان المنشغلين بالفكر العربي و أغلب الدراسات تشير إلى هذه القضية متناولة إيّاها من زوايا متعددة حيث أبحت مصدرا للدرس الحداثي ، إذ حمَّلها المحدثون مضامين فكرية ومعرفية و عقلية وعقيدية أوسع ممّا كانت تحمله عن الأقدمين ، ذلك أن التراث ليس مخلفات ثقافة الماضي بقدر ما هو كلية هذه الثقافات من حيث الدين و اللغةو لأدب و العقل و الفن و العادات و الأعراف و التقاليد و القيم الألفية التي يتشكل منها النسيج الواقعي في الحياة [2] .

أما عن مفهوم التراث العربي الإسلامي فهو التراث الذي سجل بالعربية ، واتخذ من الإسلام منهجا ، و بنى دراساته على التعليمات الإسلامية ، يتأمل فيما جاء في القرآن الكريم و يتبع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويفكر بما فيه خير للمسلمين خاصة ، و للإنسانية عامة و يسجلها في كتب هي التراث العربي الإسلامي المكتوب [3] .

و هذا يعني أن التراث العربي منذ العصر الجاهلي إلى غاية عصرنا الآن محفوظ ومسجل في دواوين أو كتب أو صور ، خاصة التراث الديني الذي يتمثل في القر آن الكريم، و السنة النبوية ... الخ ، و بهذا يصبح مدلول التراث يشمل كل جوانب الروحية و المعنوية للفرد و المجتمع ، لذلك لا بد من الحفاظ عليه ، فالتراث بالمفهوم المتداول الحديث ، هو كل ما وصل إلينا مكتوبا في علم من العلوم ، أو محسوسا في فن من الفنون ، مما أنتجه الفكر و العمل في التاريخ الإنساني غبر العصور ، فلكل إذن تراثها ، الذي هو ثمرة ذكرها ، وعقائدها ، وحصيلة جهدها العقلي و الروحي و الإبداعي [4] .

---

[1]- فوزي العنتيل ، الفولكلورماهو ؟ ، (دراسات في التراث الشعبي) ، 1407 هـ -1987 م ، القاهرة ، ط2 ، ص 77 .

[2]- بوجمعة بوبعيوا ، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ، ص 10 .

[3]- سعيد سلام ، التناص التراثي ، ص 16 .

[4]- عبد العزيز بن عثمان التويجري ، التراث و الحداثة ، ص 12 .

و بالرغم من التعارف المتباينة للتراث إلا أنها تشترك في الإشارة إلى أهميته البالغة و الكبيرة ، بوصفه هوية الأمة و كيانها ، فهو يطرح نفسه على الجميع بقوة ، و ربما هذا ما أراد (فاروق خورشيد) قوله "إنَّ مصطلح التراث هو مصطلح شامل نطلقه لنعي به عالما متشابكا من الموروث الحضاري و البقايا السلوكية و القولية التي بقيت عبر التاريخ [1]، والقصد من ذلك أن التراث شامل و متنوع في جميع الجوانب المختلفة كالتراث الحضاري ، الذي يعتبر نتاج الحضارات من فترة ما قبل التاريخ مرورا بالحضارات المختلفة في مختلف المناطق وصولا إلى ما يسمى اليوم فترة التراث و هذا يجعل المبدع أو الكاتب بحاجة إلى التواصل مع تراث أمته ، قصد الاستفادة ، فالتراث بكل أبعاده يشكل قضيت أساسية لا يمكن تجاهلها و بناءا ضخما لا يمكن تجاوزه عند دراسة أي قضية أو ظاهرة اجتماعية[2].

ومن خلال كل التعريفات التي سبق ذكرها ، نستطيع القول أن جل التعريفات تتقارب في المضمون وتتفاوت ، لذلك نجد صعوبة في الوصول إلى تعريف محدد، وعليه يبقى التراث روح الأمة العربية ، حاملا هوية المجتمع و أصالته .

2-التراث عند العرب :

يقصد بالتراث العربي مجموع الفنون الأدبية ، و الاجتماعية ، التاريخية ،و الثقافية أبدعتها الأمة العربية منذ أول عصر لها إلى غاية العصر المعاصر ، وسعت للحفاظ عليه، والتراث العربي كغيره من التراث أثر و تأثر بحضارات غيره من الأمم و الشعوب قديما وحديثا ، وزاد في إخصابه تطور صلات التأثير و الترجمة و التبادل المباشر بين تلك الحضارات وبين الحضار ات العربية ، وعلى الرغم من صعوبة التمييز بين ما هو تراث عربي خالص ، و بين ما يمكن أن نسميه التراث الإنساني العام ، مثل الحضارات المتواجدة في أقطار الوطن العربي منذ

---

[1] - زهية طرشي ، تشكيل التراث في أعمال محمد مفلاح الروائية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب و اللغة العربية ، 2015-2016 م بسكرة ، ص 14 .

[2] - المرجع السابق ، ص 14 .

القديم ، فإن هذا لا يطعن في القول بأن التراث هو جماع التاريخ المادي و المعنوي لأمة منذ أقدم العصور [1].

أما التراث عند المشتغلين به من العرب فيرونه مجمو ع الإنتاج الفكري و الحضاري و التاريخي الذي ورثته الإنسانية جمعاء و الذي يتمثل في الآثار المكتوبة، سواء كانت أثرية أي حجرية ، أو كانت على شكل كتب أو ملفات أو ما يشابهها ، و هي التي حفظها لنا التاريخ كاملة ، أو بمعنى آخر ما يتعلق بتراث الأمة من المخطوطات و من اللوائح الفنية التي تبرز حضارة الأمة ، و تدل على تراثها الماضي ، ذلك أن الحضارات تتلاقى و تتلاقح بينها و يأخذ الضعيف من قويِّها [2].

و هكذا يجب فهم التراث بمعناه الكياني لا التاريخي أو الماضوي ، فالماضي بالمعنى التاريخي مضى ، لكنه بالمعنى الكياني ، ليس بالضرورة التي تتحول باستمرار ، وبهذا يمكن القول ، أن فكر شخص ما ، أو حركة ما ، مع أن هذا الشخص انتهى منذ قرون ما زال حاضرا و ما يهمنا من التراث العربي فيضوء اتجاه المجتمع العربي نحو التغيير يكمن في العناصر التراثية التي تحتفظ بالقدرة على إضاءة الحاضر و المستقبل [3] .

أ- مفهوم التراث في المفهوم العربي المعاصر :

المقصود بالتراث العربي المعاصر كما يقول (محمد عابد الجابري) هو "الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية و الشريعة و اللغة و الأدب ، و الفن الكلام، و الفلسفة و التصوف ... " [4]؛ بمعنى التراث هو الموروث الثقافي و الفكري و الديني و الأدبي و الفني ، وهو المضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل خطابنا العربي المعاصر ملفوفا في بطانة وجدانية إيديولوجية ، لم يكن حاضرا لا في خطاب

---

[1]- سعيد سلام ،التناص التراثي ، ص 15 .

[2]- المرجع السابق، ص 16 .

[3]- بوجمعة بوبعيوا ، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، ص 10 .

[4]-محمد عابد الجابري ، التراث و الحداثة ،(دراسات و مناقشات) ، بيروت ، 1991 ، ط1 ، ص 31 .

أسلافنا و لا في حقل تفكيرهم ، كما أنه غير حاضر في خطاب أية لغة من اللغات الحية المعاصرة التي نستورد منها المصطلحات والمفاهيم الجديدة علينا [1] .

و لا بد للباحث في مسألة التراث من العودة إلى عصر النهضة لاعتبارين أوّلهما ان التراث يرتبط بماضي غير محدد ، لذا لا بد من تحديد نقطة في الماضي تكون دليلا على اتصال الماضي، بعد الانقطاع الذي حدث بين التاريخ العربي و تاريخ الثقافة العربية في فترة تسلط الاستعمار على الأمة العربية [2].

و لقد تولدت النهضة العربية المعاصرة عن اتصال المجتمع بالغرب الذي أيقظ المجتمع العربي من سباته الطويل ، ووضعته في مواجهة أسئلة متعددة تتعلق بماضيه و حاضره ، ومستقبله و أخذ رواد عصر النهضة على عاتقهم الإجابة عن أسئلة النهضة التي تمحورت حول سؤال هام هو : كيف ننهض و نلحق بالحضارة التي تخلفنا كثيرا عن اللحاق بها ؟ وفي ظل هذا السؤال النهضوي ولدت فكرة الانتظام في التراث التي توخي رحلات عصر النهضة منها تحقق نقد الحاضر و نقد الماضي ، والقفز إلى المستقبل [3].

لم يكن الجواب من السؤال النهضوي الذي طرح في نهاية القرن التاسع عشر بل تعدد الإجابات و تباينت المواقف ، تبعا لتباين إيديولوجية المثقفين ، واختلاف ثقافاتهم و يمكن أن نبين ثلاث مفاهيم رئيسية للتراث في مجموعها مفهوم التراث في الفكر العربي المعاصر و هذه المفاهيم هي :

ب- مفهوم التراث عند المحافظين :

يدعو أنصار الموقف السلفي للعودة إلى التراث و التمسك بالقديم لمواجهة الغرب الذي أخذت حضارته تهدد المجتمع العربي ببنيته التقليدية التي رانت عليه طيلة فترة الاحتلال الأجنبي [4] ، ويرفض الموقف السلفي كل ما هو جديد ، و يدعو إلى الوقوف في وجهه بحجة أنه من نتاج مجتمع و حضارة غربيين عن المجتمع العربي

---

[1]- محمد عابد الجابري ، التراث و الحداثة ، ص23 .

[2]-محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية ، ص 23 .

[33]- المرجع السابق ، ص 24 .

[4]- المرجع السابق ، ص 24 .

و منطلقا في موقفه من رؤية دينية تُقسم العالم إلى مؤمن و كافر ، و تنسب الكفر إلى الغرب و حضارته ، و قيمته تصنع العنصر ، الجنس في أوليات اهتماماته و تتطلع إلى الماضي حيث المجد و الحضارة المزدهرة ، و يسوغ الموقف السلفي رفضه للجديد و الحضارة الغربية ، و تمسكه بالقضية ، و بارتكازه في فلسفة مثالية ترى أن قمة الحضارة وجدت في الماضي ، و أنجزت لمرة واحدة فقط ، ولن تتكرر في المستقبل ، و لكي يكون الحاضر جميلا و وزاهرا ، لا بد لأن يعود إلى الماضي و يحاكيه في كلتيه ، و يكون نسخة على صورته [1] .

وقتبدى التراث فوق تصور السلفي مجرد تراكم كمّي للأشكال من الوعي ، تتجلى في تطورها و أفكار و تأملات مفاهيم منبعها الأساسي ، و محركها الأساسي هو الذات بوصف كونها هي الخالقة للموضوع و للقيمة ، و قد أدت هذه النظرة السلفية إلى سجن التراص في الماضي ، و قطع الصلة بينه و بين الحاضر من جهة ،وبينه وبين تاريخه ومجتمعه الذي نشأ في من جهة أخرى [2] .

وبناءا على ما سبق يمكن القول أن أصحاب المحافظين ركزوا على التمسك بالماضي والتحفظ عليه من جميع مجالات ،ورفضوا كل ما هو جديد أو حديث .

ج- مفهوم التراث عند أصحاب الحداثة :

يقع الموقف الرافض للتراث من الجهة الأخرى للموقف السلفي ، يرفض الماضي رفضا كليا ، و يرفض العودة إلى التراث ، ويقرأ الحاضر في ضوء المستقبل فقط ، و يستبدل الغرب بالتراث ، منطلقا من أن المثل الأعلى يوجد في الآخر ، الغرب هنا ، لا في الماضي، و أن التراث بوصفه ينتمي إلى زمن مضى ، لا يمكن أن يستمر في الحاضر [3] .

---

[1]- محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية ، ص 24.

[2]- لمرجع السابق ، ص 25 .

[3]-المرجع السابق ، ص 25

جـ - الموقف الجدلي :

ظهر الموقف الجدلي في فهم التراث ، كرد فعل ضد الاتجاهين ، السلفي و الرافض ، فهو يقوم على أسس و مبادئ تتناقض مع الأسس التي قام علها ، وقد واجه التيار الجدلي ، التيار السلفي بنزع القداسة عن التراث ، والنظر إليه عل انه نتاج الوعي البشري في التاريخ و المجتمع [1] ، و قد واجه التيار الرافض بالربط بين الحاضر و الماضي ، عبر دراسة العناصر الحية للتراث ، ودراسة علاقته التاريخية بقضايا الماضي في ضوء القضايا و المشكلات و الأسئلة التي يطرحها الحاضر ، و هكذا نظر الموقف الجدلي للتراث ، لا بوصفه شيئا منفصلا عن وجوده التاريخي بل بوصه نتاج الوعي البشري في ظروف اجتماعية تاريخية محددة ، ثم ربط دراسته بالمشكلات و القضايا التي يطرحها الحاضر[2] .

و تكمن أهمية الموقف الجدلي في القراءة الجديدة التي تتم بأدوات معرفية معاصرة تنتمي إلى عصر القارئ، و تنتج من رؤية جدلية تربط بين الماضي و الحاضر و تنظر إلى الماضي ضمن الشروط الإجتماعية و التاريخية المنتجة له ومثل هذه القراءات تمكننا من أن نضع أيدينا على عناصر الأصالة في التراث القادرة على الاستمرار و التفاعل مع الواقع لدفع عملية التطور إلى الأمام [3] .

لقد توهم التيار الرافض للتراث أن الحداثة تقف على النقيض من مفهوم التراث وأنهما قطبان لا يلتقيان،لارتباط الحداثة بالمستقبل ، ودلالة التراث على الماضي ،ولكن التيار الجدلي ترى أن الحداثة لا تقف حائلا دون استمرار الماضي ، و التراث في الحاضر ، وأن عملية تحديث الحاضر لا تبدأ من الصفر و لا تتم بإلقاء التراث في سلة المهملات ، والحداثة وفق المنظور الجدلي من التراث لا تعني رفض التراث و لا القطيعة مع الماضي ، بقدر ما تعني الإرتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه بالمعاصرة [4] .

---

[1]- محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية ، ص 25 .

[2]- المرجع السابق ، ص26 .

[3]- المرجع السابق ، ص.26.

[4]- المرجع السابق ، ص.26 .

و يمكن القول أن التراث العربي كان شاملا ، لأنه كان منتجا للعديد من الشروط التي توفر ت في مختلف التحولات التي عرفها الإنسان العربي في تاريخه .

3- مستويات التراث :

يرتكز التراث على مستويات ، ولمعرفة تلك المستويات ، لابد من الوقوف عندها و ذلك للوصول إلى حقيقته و مضمونه ، حيث تتدرج هذه المستويات في المادي و الصوري (النفسي) .

أ- على المستوى المادي :

فهو تراث موجود في المكتبات و المساجد و المخازن و الدور الخاصة يعمل على نشره فهو تراث مكتوب ، مخطوط ، أو مطبوع ، له وجود مادي على مستوى أولى ، مستوى الأشياء ، وتعقد المؤتمرات ، و تقام المعاهد ، وتنشر الفهارس وتعد الإحصائيات عن الموجود منه في مكتبات العالم ، ما نشر منه وما لم ينشر بعد ، ما بقي منه وما ضاع [1].

و هي قضية مثارة في عصرنا على المستوى المادي ، عندما يكثر الحديث عن إحياء التراث ، و بعث التراث ، ونشر التراث ، و تحقيق التراث ، و ترسل إلى البعثات إلى شتى مكتبات العالم لجمعه و تصويره و تخزينه ، و تصدر السلاسل التي تستمر و قد تتوقف ، وترصد الأموال، و يوظف الباحثون ، وتكثر الدعايات حول نشر التراث ، وكان البعث و الإحياء و النشر يعني إعادة طبع القديم طبعات عدّة و اختيار ما وافق هوى العصر دون متطلباته ، فإذا لجأ العصر إلى التصوف تعويضا عن روح الهزيمة أو طلبا للنصر ،فإنه يعاد نشر المؤلفات الصوفية ، وا ذا شاعت الخرافة في الناس، و ساد الانفعال على العقل واشتدت الحاجة ، و زاد الضنك ، نشرت المؤلفات عن المعاد و عن عالم العدل القادم الذي تملأ فيه الأرض عدلا كما مُ لئت حورا، و انقلب أهل السنة إلى شيعة بأحد ما يكون بالتشخيص ، و إذا قيل أن السبب في الهزيمة هو البعد عن الكتاب و السنة أعيد نشر الكتاب و السنة في طبعات مذهبة ، منمقة مزركشة ، لزيادة ثروات التجار ، و ليتبرك بها

[1] - حسن حنفي ، التراث و التجديد ، ص 14 .

الناس و هم في بيوتهم ، تقيهم الشر، و تمنعهم الحسد ،و تجلب لهم الخير ، و يتبادلها رؤساء الدول هدايا فيما بينهم ، و ترسلها المؤتمرات و الجمعيات الإسلامية إلى الدول الإسلامية غير الناطقة بالعربية لنشر الوعي الإسلامي [1] .

و لكن هذا ليس مخزونا ماديا فحسب ، هذا الكم الهائل من المخطوطات القديمة المنشور منها و غير المنشور و الذي حرر في عصور لم توجد فيها المطابع بعد ، و لكنه أيضا ليس كتابا مستقلا بذاته يدافع عنه و كأنه يحتوي على حقائق نظرية مسبقة توجد بذاتها ، مهددة بالضياع و إن غابت ، و تحشد لها العقول في مرحلة الخطر ، حقيقيا أم وهميا ، ليس

التراث موجودا صوريا له استقلال عن الواقع الذي نشأ فيه و يصرف النظر عن الواقع الذي يهدف إلى تطويره بل هو تراث يعبر عن الواقع الأول الذي هو جزء من مكوناته ، فالتراث إذن ليس له وجود مستقل عن واقع حي يتغير و يتبدل ، يعبر عن روح العصر، و تكوين جيل ، ومرحلة التطور التاريخي ، التراث إذن مجموعة التفاسير التي يعطيها كل جيل بناءا على متطلباته ، خاصة و أن الأصول الأولى التي صدر منها التراث تسمح بهذا التعدد ، لأن الواقع هو أساسها الذي تكونت، عليه، ليس التراث مجموعة من العقائد النظرية الثابتة والحقائق الدائمة التي تتغير بل هو مجموع تحققات هذه النظرية في ظرف معين ، و في موقف تاريخي محدد ، و عند جماعة خاصة تضع رؤيتها ، و تُكَوِّنُ تصوراتها للعالم [2] .

ب- وجود على مستوى صوري :

التراث في الحقيقة مخزون نفسي عند الجماهير ، فالتراث القديم ليس قضية دراسة للماضي العتيق فحسب ، الذي ولى و طواه و النسيان ، و لا يزار إلا في المتاحف ، و لا ينقب عنه إلا علماء الآثار بل هو أيضا جزء من الواقع و مكوناته النفسية ، ما زال التراث بأفكاره و تصوراته و مثله موجها ليسلك الجماهير في حياتنا اليومية ، إما بعاطفة التقديس في عصر لا يسلك فيه إلا مداحا ، أو بالارتكان إلى ماض زاهر نجد فيه الجماهير عزاء عن واقعها المضني ، فإذا أخذنا موروثا نفسيا

[1] -حسن حنيفي ، التراث و التجديد ، ص 14 .

[2] -المر جع السابق ، ص 15 .

مثلا وجدنا أننا مازلنا نعيش التصور الثنائي للعالم ، كما ورثناه من الكندي و آثار على وحدة السلوك وما يترتب عنه من تطهير و تبرير للنفس ، كما أننا نسلك طبقا للتصور الهرمي للعِلم الذي ورثناه من الفرابي خاصة في تصور مجتمعنا و مؤسساته التي يقوم كل منها على الرئيس الذي هو وحده الملهم و القائد و المعلم و الكامل و المقدس و المعبود ، ثم تقل مراتب الشرف و الكمال حتى نصل إلى مرؤوسين الذي عليهم إما الطاعة والولاء و إما السجن و العقاب .

كما أننا نلحق عقولنا بالنصوص ، وتقع في التأويلات ، وتقطع الصلة بين العقل والتحليل المباشر للواقع باعتباره مصدرا للنص ،ثم نتقي من التراث ما يدعم هذا الوضع .

فالتراث إذن مازال قيمة حية في وجدان العصر يمكن أن يؤثر فيه ،ويكون باعثا على السلوك ، فتجديد التراث ضرورة واقعية ، ورؤية صائبة للواقع و التر اث حي يفعل في

الناس و يوجه سلوكهم ، و بالتالي يكون تجديد التراث هو وصف لسلوك الجماهير بدلا من وجود سلوكهم ، و بالتالي يكون تجديد التراث هو وصف سلوك الجماهير وتغييره لصالح قضية التغيير الإجتماعي ،فهو إطلاق لطاقات مختزنة عند الجماهير بدلا من وجود التراث كمصدر لطاقة مختزنة [1] .

4- مواقف التراث :

تتنوع مواقف التراث بتنوع عدد الباحثين له ، و يمكن الوقوف على ذلك من خلال النقاط التالية :

في الفترة الحديثة من عصرنا ، اعتدنا أن نميز ثلاثة مواقف من التراث :

1-مواقف محافظ و متزمت في محافظته و رجوعيته .

2موقف ر افض للتراث جملة و تفصيلا ، متشائم في نظرته .

[1]- حسن حنيفي ، التراث و التجديد ، ص 15-16-19 ، بتصرف .

3-موقف انتقائي ، يأخذ من التراث ما يخدم إيديولوجيته و يسند نظرته ، و يهمل ما سوى ذلك بحجة أنه غير عصراني ، أو لا ينطوي على قيم أخلاقية و حضارية .

و بقدر ما يكون الموقفان الأولان طفوليّين وعدائيين يكون الموقف الثالث أكثر اقترابا من التراث ، رغم ما ينطوي عليه أحيانا من النصوص و أحادية في الأخذ و التفسير و الرؤية، ولا شك أن في تراث الأمم جميعا ، ما هو جميل حضاري و إنساني و ما هو غير ذلك يعكس قيم عصور سادت فيها صراعات ، و تحكمت فيها طبقات لم تكن مصلحتها لتتفق ومصلحة جماهير الأمة و فقرائها [1] .

و المقصود من أن الموقفان السابقان قاما برفض التر اث بشكل كلّي ، أي بجميع تنوعاته، و في الرأي الثالث نجده قريب من الرأيين الأول و الثاني ، لأنه يتعامل مع التراث ما يخدمه و يهمّه فقط دون إعطاء أهمية له .

فالتراث مصدر من مصادر نظرية المعرفة في الاجتماع و السياسة و الاقتصاد والإبداع الفني و الثقافي [2] .

كما أن للتراث أنصار كثيرون لا يحصون عدّا ، وله أبناء صناعة و حفدتهم خصوم قليلون ، يقولون ما لنا و لتراث أجدادنا و الآباء تنفض عنه غبار أجداده ونعيده إلى الحياة، و هو غير صالح لكي يتنفس فيها ، إذ أصبحنا نعيش حياة جديدة تخالف حياة الأسلاف في الحضارة و المدينة و الاقتصاد و استغلال الطبيعة، و ماذا يفيد عصرنا عصر الذرة و ما تشمل عليه من إليكترونات و عصر اختراق الفضاء و ما يدور فيه من أقمار صناعية من تعرف على التراث ، وكلما يحمل على إنهارات قواعده و خر أركانه و لم تعد في حاجة إليه و لا إلى مادته [3] .

وبناء على ما سبق التراث هو ثقافة وإبداع الأمة وذلك طبعا بفضل مواهبها وقدرتها أو ظروفها على إنشاء تراث عريق .

---

[1] - طراد الكبيسي ، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة و الإبداع في الشعر العربي الحديث ، منشورات وزارة الثقافة و الفنون ، بغداد ، د ط ، ص 8 - 9 .

[2] - طراد الكبيسي ، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة و الإبداع في الشعر العربي الحديث ، ص 10

[3] - شوقي ضيف ، في التراث و الشعر و اللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، د ط ، ص 64 - 65

6- بواعث توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة :

يختصر " محمد رياض وتار " مؤلف كتاب التراث في الرواية العربية المعاصرة بواعث أو دواعي توظيف التراث في ثلاث بواعث رئيسية ويصنفها كالتالي:

أ – البواعث الواقعية :

و فيها يذهب إلى انه كان لهزيمة حرب حزيران 1967، إنعكاسات سلبية على الوجدان العربي و قد جعلت المثقفين يفتتحون بضرورة التقديس و الانغلاق ولكن لتحقيق الوثنية الحضارية المنشودة .

ب – البواعث الواقعية :

و تتمثل في العلاقة بين الرواية العربية و الرواية الغربية ، وخاصة ظهور روايات جديدة في أمركا اللاتينية و اليابان و إفريقيا الوسطى ، تعني بتوظيف التراث و الغوص في البيئة المحلية وقد نالت شهرة كبيرة كما هي الحال بالنسبة لرواية غاربرييل غارسيا ماركيز (مائة عام من العزلة) .

جـ - الحركة الثقافية :

و يعود الفضل في هذا البعث إلى المثقفين و النقاد الذين بذلوا جهدا كبيرة في بحث مسألة التراث بالرجوع إلى النصوص القديمة ، بدلا من الارتباط بالرواية الغربية ، ووجدوا في الأدب العربي القديم ما يحقق الغرض و التنوع (كالقصص الديني و قصص البطولي ، وقصص الفرسان و القصص الإخباري و القصص الفلسفي [1] .

إن هذا النشاط الثقافي الموجه نحو التنقيب و التحقيق و النقد ، قد ساعد الكتاب على أن يغترفوا من الموروث ، و يسيروا بالتجربة الروائية العربية نحو الاستقلالية و التميز [2] .

و في الأخير نستنتج مما سبق أن هذه البواعث (الفنية ، الواقعية ، الحركة الثقافية) ، قد ساهمت بشكل كبير في عودة التراث في الرواية العربية المعاصرة .

---

[1]- مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص 13 .

[2]- المرجع السابق ، ص14 .

7 – أنواع التراث :

مما هو معلوم و شائع عند جميع الدارسين أن التراث هو كل ما خلفه لنا الأجيال السابقة سواء من الناحية المادية أو المعنوية ، و على ذلك يكمن تقسيم التراث إلى أنواع و هي كالتالي :

أ – التراث الديني :

ومما لا ريب فيه ، أن للبشرية أديانا سماوية جاءت عن طريق الوحي من السماء و هي على الترتيب التالي : اليهودية و المسيحية و الإسلام ، ومما لا ريب فيه ، أن هناك أديانا غير سماوية تشكلت بطريقة ما لتقوم بوظيفة الدين السماوي بين البشر منها الديانة المصرية القديمة و المجوسية و البوذية ، و معتنق عقيدة ما، تشكل بطريقة أو بأخرى رافدا تراثيا كبيرا في تكوينه الثقافي .

و أمتنا العربية نور تراثها الروحي هو القرآن الكريم المعجزة التي ليس لها سابقة و لا لاحقة ، في تاريخ الحياة الروحية الإنسانية ، نور يهدي الإنسان سواء السبيل منتقلا به من الظلمات الموحشة إلى النور و الهداية الربانية ، بما شرع القرآن الكريم له من قيم روحية خالصة ترسم له أصول عقيدة إلهية رفيعة و عبادات و فضائل تطهر نفسه و تزكي قلبه [1] .

و يقصد بالتراث الدينيمختلف النصوص التي تكون مرجعيتها الدّين ، سواء كان النص القرآني، الأحاديث النبوية الشريفة ، و أحاديث و أقوال الصحابة أو بعض الممارسات الدينية، حيث لا يمكن أن نفهم حضور التراث الديني في الرواية إذا لم نعرف الظروف التي أحاطت بهذا التوظيف أولا .

وهذه الظروف تتمثل في الوضع السياسي و الاجتماعي للبلاد ، و يتجلى الدين في الرواية من خلال توظيف القرآن الكريم ، الحديث النبوي ، و كذا الفكر الديني ، ويرجع النص الديني أنه عُني بالقصة ، تمكن من خلاله تصوير شخصية البطل على منوالها ، ويظهر ذلك داخل النص الروائي من خلال استحضار الشخصيات

[1]- سهام معمري ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية " الحوت و القصر " ، ص 24 .

الدينية كشخصية المسيح الدجال ، أهل الكهف ، ... ، و الاعتماد على الأسلوب القرآنيمن خلال قصصه و الاستشهاد بالقرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف [1] .

و هذا يعني أن التراث الديني منبع استفاد منه الكتاب و الأدباء في العديد من الروايات مثل رواية درب الأربعين ، والتي تشمل في الكثير من العناصر التراثية الدينية من قصص دينية و شخصيات دينية ، و الكلمات المستقاة من القرآن الكريم، و هذا يدل على عمق الرواية العربية .

ب – التراث الصوفي :

قبل التطرق إلى التراث الصوفي ، لابد من الوقوف من مفهوم التصوف ، فقد كثرت تعاريفه كما كثرت الأقوال في اشتقاقه ، وذلك بحسب وجهات نظر أصحابه ، و نستعرض بعضا منها للفهم لا للحصر .

لفظ " تصوف " مشتق من اسمه صوفي ، وهي مشتقة من الصفاء ، فجعل منه " صوفي " فعلا مبني للمجهول من صافى ، و قلب صوفي ، تجنبا للثقل [2].

و منهم من قال أن من الصوفة ، لأن الصوفي مع الله تعالى كالصوفة المطروحة لاستسلامه لله تعالى ، ومنهمن قال الصِّفة ، لأن جَملته اتصاف بالمحاسن ، و ترك الأوصاف المذمومة ، ومنهم من قال من الصُفة ، لأن صاحبه تابع بأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال الله تعالى {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ... } من سورة الكهف ، الآية 28 ، و أهل الصفة هم الرعيل الأول من رجال التصوف ، فقد كانت حياتهم التعبدية الخالصة المثل الأعلى الذي استهدفه رجال التصور في العصور الإسلامية المتتابعة [3].

وقيل (من الصفوة) كما قال الإمام القشيري .

وقيل (من الصَّف) فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله تعالى، وتسابقهم في سائر الطاعات .

---

[1]- بوجملة سميرة ، تجليات التراث في رواية " صوت الكهف " لعبد الملك مرتاض ، ص 08 .

[2]- فاطمة داود ،(التصوف الإسلامي مفهومه و أصوله) مجلة حوليات التراث ، العدد 1 ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، 2004 ، ص 63 .

[3]- عبد القادر عيسى رحمه الله ، حقائق عن التصوف ، "التصوف كله أخلاق فمن زاد عليك بالتصوف " ، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية ، د . ت ،د ط ، ص 09-10 .

و منهم من قال :(إن التصوف نسبة إلى لبس الصوف الخشن ، لأن الصوفية كانوا يؤثرون لبسه للتقشف و الإخشيشان[1] .

و في تعريف التصوف يقول القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى : (التصوف علم قصد لإصلاح القلوب ، و إفرادها لله تعالي عما سواه ، و الفقه لإصلاح العمل ، وحفظ النظام ، وظهور الحكمة بالأحكام و الأصول ، " علم التوحيد " لتحقيق المقدمات بالبراهين ، و تحلية الإيمان بالإيقان ، كالطب لحفظ الأبدان ، و كالنحو لإصلاح اللسان وغيره) ، ، وقال أيضا سيد الطّائفتين الإمام جنيد رحمه الله التصوف هو استعمال كل خ ُلق سني ، وترك كل خلق د ُني) [2] .

فالتصوف يمكن أن يوصف بأنه أكبر تيار روحي ، يسرى في الأديان جميعا ، بمعنى أشمل يمكن تعريف التصوف بأنه إدراك الحقيقة المطلقة ، سواء هذه الحقيقة " حكمة " أو " نور" أو " عشق " أو " عدم " [3] .

كما يمكن يعرف التصوف بأنه " حب المطلق " ، فبذلك الحب يتميز التصوف الحقيقي عن طقوس الزهد الأخرى ، وحب الإله يجعل المريد يتحمل كل الآلام و المصائب التي يبتليه الله يختبره حبه و يطهره ، بل يجعله يتلذذ بها [4] .

وقال بعضهم (التصوف كله أخلاق ، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف) ، وقال إبن عجيبة رحمه الله (التصوف : علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، و البواطن من الرذائل ، وتحليتها بأنواع الفضائل ، و أوله علم ، ووسطه عمل ، و آخره موهبة) .

و قال أيضا الشيخ زروق في قواعد التصوف : (قد حـ ُدَّ التصوف ورسم و فبوجوه تـ ُبـ َلـَّغ ُ نحو ، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى ، و إنما هي وجوه فيه)[5] .

---

[1]- عبد القدر عيسى ، حقائق عن التصوف ، ص 10 .

[2]- المرجع السابق ، ص 08 .

[3]- ماري ، شيمل ، الأبعاد الصوفية في الإسلام و تاريخ التصوف ، ترجمة محمد إسماعيل السيد ، رضا حامد ، منشورات الجمل كولونيا ، بغداد ، 2006 ، ط1 ، ص 07 .

[4]- المرجع السابق ص 8 .

[5] - عبد القادر عيسى ، حقائق عن التصوف ، ص 9 .

فعماد التصوف تصفية القلب من أوضاع المادة ، وقوامه صلة الإنسان بالخالق العظيم ، فالصّوفي من صفى قلبه لله ،و صفت لله معاملته ، فصفت له من الله كرامته .

أما بالنسبة إلى جنيد فيقول عن التصوف بأنه أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم ، من رجل كريم مع قوم كرام ، و يعرفه أيضا بقوله :" هو استرسال النفس مع الله على ما يُريد " ، و قال عبد الرحمان القناد : هو نشر مقام و اتصال على بدوام، وبشر بن الحارث يقول الصوفي من اختاره الحق لنفسه فصفاه و عن نفسه برّأه ، اذن الصوفية هم أهل الباطن أمناء اله في الأرض يرون بنور الله [1] .

و علم التصوف اتجاه بعيد العاطفة الدينية في صفاءها و نقاءها و هو الجانب الروحي الذي يعتمد على منطق الرؤيا و الإشراق و المحبة ،يكشف الإنسان فيه البعد المتعالي ليتحول إلى إنسان كامل فهو يحاول الكشف عن حكمة الله في الحياة، و تمنع القلب و الروح بلذة المشاهدة [2].

و في الأخير يمكن القول أن التراث الصوفي مصدر من أهم المصادر التراثية التي استمدها الأدباء و المفكرين ، و وظفوها في منتجاتهم الأدبية و الفكرية و في مختلف العصور القديمة و الحديثة و المعاصرة ، لما يحمله هذا التراث من قيم وتجارب روحية وفكرية ، وحتى اجتماعية ، وهو مرتبط بالجانب الديني أكثر من أي جانب آخر .

جـ - التراث الشعبي :

يعتبر التراث الشعبي من مكونات الشعوب وثقافتها، و قد شهدت المجتمعات العربية في فترات تاريخها فئات تجعل من الدعوة إلى إحياء التراث الشعبي موقفا استعماريا، وحاولت أن تقام النشاطات الأدبية والفنية و الشعبية في الأجهزة الرسمية، كما نجد هناك من يعد التراث مجرد فلكلور محصور في نطاق المجال التجاري ، غير أنه ظهر وعي بضرورة دراسة هذا التراث الشعبي ، و إن كان يفتقد في بعض

[1]- فاطمة دواد ، التصوف مفهومه و أصوله ، ص 64 .

[2]- المرجع السابق ، ص 64.

الأحيان إلى المنهج السليم ، و لذلك نجد أنه مؤخرا زاد الاهتمام في كثير من الأقطار العربية بالتراث ، بأشكاله القصصية و الشعرية [1].

و التراث الشعبي بالتراث هو ذلك الموروث الشعبي من أفعال و عادات و تقاليد وسلوكات و أقوال تتناول مظاهر الحياة العامة و الخاصة ، و طرائق الاتصال بين الأفراد و الجماعات الصغيرة ، والحفاظ على العلاقات الودية في المناسبات المختلفة بوسائل متعددة و الاحتفال بالمناسبات التي يبدر من طرائقها عدد كبير منمعتقدات الشعب الدينية و الروحية و التاريخية .

كما اعتبر آخرون أن التراث الشعبي يشمل العديد من الأنواع الأدبية في الرواية مثل العادات و التقاليد و الأمثال و الحكم ، و الألغاز ... الخ ، و هو يعود إلى النهج الفكري للأدباء و الدارسين .

للأدب الشعبي تعاريف كثيرة نذكر منها : تعريف الدكتور (سعيد يقطين) للأدب الشعبي ، الذي لخصه في ثلاث اتجاهات ، ففي الاتجاه الأول يرى أنه هو أدب عاميتها التقليدي (الشفاهي) مجهول المؤلف ، المتوارث جيل عن جيل ، أما الرأي الثاني فيعرفه انه كل عمل فني جاء في قالب لغوي عامي بالمقابل إلى الأدب الرسمي الفصيح ، و هذا التعريف ركز على الجانب التعبيري الشكلي أي أن يكونا عاميا بلسان عامة الناس [2] ، و في الرأي الثالث فيرى أنه في ذلك الأدب الذي ارتبط ارتباطا وثيقا أو عضويا بقضايا آمال و آلام الناس أو الجماهير الشعبية ، و بالتالي يعبر الوعاء الفني الجمالي لروح الشعب و مصورا لحركته الإجتماعية و الثقافية و الفكرية [3]. أي أن الأدب الشعبي ملتصقا بالإنسان ، لأنه بواسطته يستطيع الفرد التعبير عن حياته .

أما بالنسبة إلى الدكتور (حسين نصار) فيعرف الأدب الشعبي " أنه مصطلح حديث لا وجود له في العصور الماضية ، يقول :" لا جفاء أن هذا الاسم ، إن شئنا

---

[1]- الضاوية عاشور ، توظيف التراث في رواية حارسة الظلال ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، 2015-2016 ، ص 25 .

[2]- محمد سعيدي ، توظيف الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق ، ديوان المطبوعات، الجامعة ، ص 8-9 ، بتصرف.

[3]- المرجع السابق ، ص 11 .

الدقة ، أنه مصطلح عربي ، أي مؤلف من ألفاظ عربية خالصة ، ولكن بالرغم من ذلك لم يلفظ به عرب الجاهلية و لا صدر الإسلام و لا عرب الأمويين أو العباسيين، أو ما شئت من العصور و إنما ابتكرناه نحن عرب عصر الحديث[1] .

و الأدب الشعبي هو ذلك الأدب الذي يصدره الشعب ، فيعبر عن وجدانه و يعكس اتجاهاته و مستوياته الحضارية " فهو الأدب المعبر عن مشاعر الشعب في لغة عامية أو فصحى [2] ، وللأدب الشعبي أنواع كثيرة نذكر منها ما يلي :

المثال الشعبي :

يُعد من أهم فنون التعبير الشائعة بين الناس ، و المتناقلة بين أفراد المجتمع الواحد [3] فالأمثال الشعبية هي تسجيل قولي كلامي في جمل قصيرة لبعض ما مر به الإنسان من أحداث ، استخلص منها مآثر و مواعظ ، فالأمثال تصور مختلف التجارب التي تعرض لها الإنسان عبر الأزمان ، يستخلص منها النهاية مواقف و عبر ، و هي أقوى الأنواع تأثيرات على السلوك الإنساني ، كما أنها أقوى تأثيرا على العلاقات الاجتماعية بصفة خاصة [4] ومعنى ذلك أن الأمثال ناتجة عن تجارب و مواقف أو خبرات الأفراد ، فيصورونها على شكل أمثال ، و هي بمثابة موروث شعبي.

الحكاية الشعبية :

---

[1]- حسين نصار ، الشعر الشعبي لعربي ، منشورات إقرأ، بيروت ، 1980 ، ط 1 ، ص 10 .

[2]- المرجع السابق، ص 11 .

[3]- عبد الحميد بورايوا ، الأدب الشعبي الجزائري ، دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر ، دار القصية ، للنشر ، 2007،ص 57 .

[4]- لخضر حليم ، صورة المرآة في الأمثال الشعبية ، دار النضر ، المؤسسة الصحفية بالمسيلة للنشر و التوزيع ، و الاتصال ، 20111، ط2 ، ص 49 .

هي أثر قصصي ينتقل مشافهة ، يكون نثريا ، وينتقل أحداثا خيالية [1] ، فالحكاية الشعبية تكون نسيج خيال حر ينسج أحداثا مهمة للشعب يرويها في شكل قصص ممتعة من جيل إلى آخر [2] .

الأغنية الشعبية :

هي شكل من أكال الأدب الشعبي ياتي على شكل مقطوعات تُغَنَّى [3] .

المعتقدات الشعبية :

يعد عنصرا من عناصر الثقافة الشعبية ، التي يتلقاها الفرد و يمارسها و هي مجموعة المعلومات و المعارف المتراكمة في أذهان الناس عن حياتهم و البيئة المحيطة بهم ، حيث تتمثل الأفكار و المفاهيم الأكثر تصلبا و الأكثر بعدا ، عن الواقع الحياتي اليومي ومتطلباته الضرورية ، إلا بصورة غير مباشرة و عن طريق الوسائط الغيبية و هي محاطة بالتقديس و لا مكان فيها للمناقشة و المحاكمة العقلية على الإطلاق ، و نظم عشرات الموضوعات منها على سبيل المثال ، زيادة الأولياء و التمسح بالأضرحة ، السحر و الشعوذة ، و الأحلام و الطب الشعبي ... الخ [4].

التراث التاريخي :

تعد المادة التاريخية أهم رافد للخطاب السردي المعاصر بما يمده من موضوعاتها المختلفة ، وقد ازداد الوعي بذلك ، عندما وجد الكتاب أن عنصر التاريخ أو الماضي يطغى على ما عدا هما في تركيب بناء الرواية ، و يتمثل في امتداد الزمن الماضي على كل ما تمت إلى الحاضر يصله ، و أن كتاب الرواية يحاولون التأريخ للمستقبل ، لذلك نجد التاريخ عنصر مهم في البناء الر ّ وائي ، بما كان له من أهمية في صنع الكيان العربي القومي، وقد درجت الرواية الجزائرية على

---

[1]- عبد الحميد بورايو ، الأدب الشعبي الجزائري ، ص 183 .

[2]- نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، 1981 ، ط 3 ، ص 119 .

[3]- الضاوية عاشور ، توظيف التراث في رواية حارسة الظلال ص 25 .

[4]- سهام معمري ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية " الحوادث و القصر " ، ص 41 ..

هذه الشاكلة تتخذ مادتها من الثورة الجزائرية [1] ، ويقول "محمد رياض وتار " ، عن حضور التاريخ في الرواية كما في النص الديني ، وهناك أيضا طريقتان فإما خارج السياق النصي في ثلاث أشكال ، و ذلك من خلال مقدمة الرواية ومقدمات الأقسام، أو الأجزاء و كذا الهوامش ، و إما داخل السياق النصي في شكلين أن يحافظ على بنيته و شكله ، و أن يتماهى بالسرد الروائي و يصبح جزءا منه [2] .

و يمكن القول مما سبق أن التراث التاريخي نجده حافل في الرواية العربية و ذلك من خلال استدعاء الشخصيات التاريخية كالامام الشاذلي ، و الأماكن التاريخية مثل الأندلس وغيرها و هذا يدل على ازدهار الرواية العربية ، وتمتع التراث بأشكاله.

التراث الأسطوري :

تعتبر الأسطورة مصدر من مصادر التراث ، وقد تنوعت تعاريفها بشكل كبير وواسع من طرف الباحثين لها و هي كالتالي .

لقد ورد في المعجم الفرنسي المشهور "Le Raber ": أن الأسطورة قصة خرافية عادة ما تكون في أصل شعبي ، تصور كائنات و تجسد في رمز، قوى الطبيعة وبعض من جوانب عبقرية البشر و مصيرهم [3] ، والمقصود من ذلك أن الأسطورة تكون نسيج الخيال ، أي غير حقيقية ، وفي الأصل أنها تعتمد على الآلهة كعنصر أساسي في الأسطورة من خلال أعمالهم و مغامراتهم .

و تقول " نبيلة إبراهيم " أيضا في تعريفها للأسطورة بأنها " محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة ، أو هي تفسير له ، إنها نتاج وليد الخيال ، و لكنها لا تخلوا من منطق معين ، ومن فلسفة أولية ، تطور عنها العلم و الفلسفة فيما بعد ، والأسطورة وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضفي على تجربته طابعا فكريا ، و هي عملية إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي [4] ،فالأسطورة تقوم بتفسير علاقة الإنسان بالكون ، و ذلك من خلال تجارب الإنسان في جانب حياته الخفية .

---

[1]- مصطفى فنطازي ، تجليات التراث في رواية " صوت الكهف " لعبدالملك مرتاض ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، جامعة قسنطينة ، 2014-2015، ص 26 .

[2]- محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية ، ص 107-108 .

[3]- بوجمعة بوبعيو، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ، ص 131 .

[4]- نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص 17 -18 .

كما تعد الأسطورة حكاية تعمد إليها المخيلة الشعبية البدائية إخراجا لدوافع داخلية في شكل موضوعي قصصي ، ترتاح إليه و تهدأ عنده [1] ، فقد كان الهدف من الأساطير إيجاد تفسير لظواهر مختلفة ، وخاصة الكونية ، ومحاولة الإجابة عن مختلف التساؤلات التي تشغل بال الإنسان منذ البدء .

و في الأخير نستطيع القول أن التراث الأسطوري أهم منبع و مرجع للتراث ، و نجده متوفر بشكل كبير في مختلف الروايات العربية ، بشتى أنواع الأساطير ، فالأسطورة يعتمد عنها الإنسان في تفسيره للظواهر التي يتعرض لها في حياته الاجتماعية .

التراث الأدبي :

تعتبر الأمة العربية ذات تراث أدبي واحد ، يعبر عن مشاعرها و خواطرها و عقولها في جميع جوانب حياتها الروحية و الوجدانية والعقلية و الإجتماعية ، وهي وحدة كفل القرآن الكريم لها خلودها و اسمرارها حية نضرة على تعاقب الأزمنة بما أتاح لها من بلاغة معجزة لم تتح للغة من اللغات بلاغة تروع الأسماع روعة شديدة،وتأخذ بجامع القلوب .

و قد أخذت اللغة العربية - مع الفتوح الإسلامية- تتجاوز الجزيرة إلى البلدان المفتوحة إذا هي تكتسح ببلاغتها و بيانها الساحر و بقرآنها الباهر لغات كل تلك البلدان ، ومعروف أن سكان تلك البلدان كانوا يتكلمون لغات مختلفة ،فكل تلك اللغات ، زايلت ألسنة هؤلاء السكان ، وحلت محلها العربية ، و قد أقبلوا إقبالا منقطع النظير على العربية يتعلمونها ويستوعبون أولها وقواعدها و مقوماتها و أوضاع التعبير فيها ، وعلى هذا النحو أتاح القرآن الكريم للفصحى خصائص جمالية خلدت فيها بخلودها الذي ظل على توالي الأزمان يحميه[2].

---

[1]- رابح العربي ، أنواع النثر الشعبي في الأدب الحيث ، منشورات جامعة برج باجي مختار ، عنابة ، 1986 ، ص 98.

[2]- سهام معمري ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، " الحوادث و القصر " لطاهر وطار ، ص 36 .

و بذلك ثبت في التراث الأدبي أو مقوم أساسي من مقومات وحدته ، وهو الفصحى المعربة الناصعة الجميلة ، او ذات الخصائص الجميلة البديعة ، حيث يتفرع التراث الأدبي إلى فرعين أساسيين، فرع الشعر ، فرع النثر [1] .

و يعد توظيف الأشكال السردية في الخطاب الروائي ، إلى بدايات هذا القرن ، و لعل ما جاء في ألف ليلة و ليلة و غيرها من حكايات و قصص ، كان من العوامل الملائمة لطبيعة الشكل الروائي فإن لم تصلح ألف ليلة وليلة ، لكي تكون من بدايات القصص في الأدب العربي ، فإنها بلا شك تصلح أن تكون مضمونا لكي تستمر في أشكال مختلفة في فن الرواية و القصص الحديث [2] .

و النص التراثي الأدبي هو النموذج الذي يحمل ميزة فنية نموذجية، أضاءت فترات زمنية ذهبية ، في تاريخ الإبداع كنصوص ألف ليلة وليلة وكليلة و دمنة ، و رسالة الغفران ، و حديث عيسى بن هاشم ، التي لا يمكن تكرارها إلا عن طريق المحاكاة أو التناص .

وهناك من يعتبر التراث الأدبي ،النص الإبداعي الذي يقابل التراث الشعبي، وهو" أدب ذاتي" ، يختلف بلا شك في شكله و تعبيره عن الأدب الشعبي[3].

والتراث الأدبي زخر بالأجناس الأدبية سواء من ناحية الشعر أو النثر ، حيث يعتبر مصدر أساسي في التراث العربي.

---

[1]- سهام معمري ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، " الحوادث و القصر " لطاهر وطار ، ص36 .

[2]- حلمي بدير ، أثر التراث الشعبي في الأدب الحديث ، دار المعارف ، القاهرة 1986 ، ص 98 .

[3]- سعيد شوقي، محمد سليمان ، توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ ، جامعة المنوفية ، كلية الآداب 2000/1831، ط 1 ، ص 9 .

الفصل الثاني

تجليات أنواع التراث في رواية

" درب الأربعين " لماجد طه شيحة

1- تجليات التراث الديني

2- تجليات التراث الصوفي

3- تجليات التراث الشعبي

4- تجليات التراث التاريخي

5- تجليات التراث الأسطوري

6- تجليات التراث الأدبي

تجليات التراث الديني :

نقصد بالتراث الديني مختلف النصوص كون مرجعيتها الدّين ، و يمكن أن نميز ذلك من خلال النص القرآني ،القصص القرآني ، الأحاديث النبوية ، و أحاديث و أقوال الصحابة أو بعض الممارسات الدينية ، و كذا الشخصيات الدينية ، والكلمات المستقاة من الجانب الديني ، وقد تأثر الكاتب ماجد طه شيحة في هذه الرواية إلى حد كبير بالعقيدة الإسلامية ، و ربما يعود ذلك إلى تحفظ روائينا و حبه للإسلام الذي ما فتئ يذكره بين جنبات روايته فنجد :

الشخصيات الدينية : لقد وظف الروائي ماجد شيحة ، شخصيات دينية في روايته (مصدق ، خليفة ، مؤمن) و هم يمثلون شخصيات رئيسية في الرواية فنجد مصدق يمثل وليا صالحا ، الذي بحث كثيرا عن أبيه ، و سافر إلى مدن كثيرة و أخواه مؤمن و خليفة كلفاه بهذه المهمة ، " أنت يا مصدق تمتلك الصفات الأنسب للحركة في عصرنا ، جن مصور تجيد جيل السفر و المراوغة ، و الخضوع ثم اللقتُ [1] ...، و شخصية مصدق كناية عن التصديق المطلق و أحوالهم ، وهي من أسماء الله الحسنى ، أمّا مؤمن هو الإبن الأصغر من أبناء الأب ، و هو شخص ملتحيوأكثرهم ضرارا من اختفاء أبيه لأن أباه كان يقرضه المال ، و أخاه خليفة لم يدع مؤمن يبحث عن أبيه لأنه يخاف من الشرطة ، " مؤمن !! كيف تريد منه بهذا الشيء الذي يحمله في وجهه، سيموت في جلده من شدة الخوف إذا رأى كمينا من الشرطة " [2] ،واسم مؤمن من أسماء الله تعالى الحسنى التي يتداولها المسلمون في حياتهم اليومية ، أما بالنسبة إلى خليفة فقد كان رجلا عنيدا و متصوفا ، لأنه كان يرغب في استيلاء أملاء أبيه ، و لم يرغب في البحث عن أبيه ،وهذا ما قاله مؤمن دفاعا في قوله " خليفة !! الدرويش ، كيف تريد منه أن يبحث عن أبينا ، هل يستدعي أرواح الصالحين ، في المقامات ليبحثوا له " [3] ، فخليفة كان يمثل نفسه أجدر بخلافة أبيه و خلافة مواهبه ، لم يكن جديرا أو مستحقا ، الخلافة بعد الوراثة أما مؤمن هو الذي يرى نفسه المؤمن الجديرة عقيدته بالتصديق والاعتقاد و الأسماء الثلاثة هي الأحوال للانخراط في الدّين بعد الوجود القوي لمن له صلة بالله كالنبي أو الولي الصالح ،كما وظف

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، مكتبة الدر العربية للكتاب ، 5-10-2014، ص 15 .

[2]- المرجع السابق ، ص 14 .

[3]- المرجع السابق ، ص 15 .

الكاتب شخصيات أخرى دينية أمثال للصحابي عبد الله بن أبي السّرح رصي الله عنه ، والإمام أحمد بن حنبل في قوله " ... دفنته قريبا من هنا عند مدافن الصحابة ، الذين أتوا مع عبد الله بن أبي السرح ، كيف ارتد عن الإسلام بعد أن كاتب للوحي[1] ... ، و عبد الله بن أبي السرح هو أبو يحيى عبد الله بن أب السرح العامري القرشي ، ولد سنة 23 قبل الهجرة في مكة ، صحابي و قائد عسكري و هو أخ عثمان بن عفان من الرضاعة ، و والي مصر في عهد خلافته و هو فاتح افريقية ، وأسلم عبد الله بن أبي السرح أول مرة قبل صلح الحديبية ، و أناله النبي عليه السلام مهمة كتابة الوحي [2] .

أما الإمام أحمد بن حنبل " ... قبلت شفتيها مستاءة كان لأمي تفسيرها عن ذلك الضوء المبهر ، في الحلم لا يقلعن تفسير العام ، ... من رأيا ذلك الضوء الذي رأيته النبي صلى الله عليه وسلم و الإمام احمد بن حنبل صاحب المذهب ... كيف تكون شيخ كتاب و لا تعلم عن ذلك الضوء ، هو الضوء الذي أرسله الله للنبي ليهدي به الناس [3] ... " ، و الإمام أحمد بن حنبل هو أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل الشيباني الذهلي ، فقيه و محدث مسلم ، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة و الجماعة ، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه و الإسلام ، اشتهر بعلمه الغزير و حفظه القوي ، وكان معروفا بالأخلاق الحسنة كالصبر و التواضع و التسامح ، وقد أثنى عليه الكثير من العلماء منهم الشافعي ، بقوله :" خرجت من بغداد و ما خلفت بها أحدا أروع و لا أتقى و لا أفقه من أحمد بن حنبل ، ويعد كتابه " المسند" من أشهر كتب الحديث و أوسعها [4] .

و الكاتب وظف هؤلاء الشخصيات ليبن لنا مدى أهميتهم و دورهم في الدين الإسلامي ، فقد سعوا إلى نصر الدعوة الإسلامية ، والتذكير بالهداية و الجهاد في سبيل الله ، لذلك نجد الكاتب استفاد منهم في روايته .

كما نجد هذه الرواية تزحم بالتراث الديني ، و ذلك طبعا من خلال النص القرآني بشكل كبير ، و القصص القرآني و الأحاديث النبوية الشريفة ، و كذا الكلمات المستقاة من القرآن الكريم ، وهذه الأخيرة نذكر منها ، " إذا قدر الله و حصل " [5]، استقاها الكاتب من القرآن

---

[1]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 15 .

[2]- ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، WikichttpM\\ar.m.wikipedia.org .

[3]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 339 .

[4]- ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، WikichttpM\\ar.m.wikipedia.org .

[5]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 15 .

الكريم لقوله تعالى { تَقْدِيرًا }و كلمة " لا تكلف نفسك فوق ما تطيق [1] ، هذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى { فُسْعَهَا إِلاَ وُسْعَهَا }، و قد استعاد الكاتب بكلمة النية كثيرا في روايته " فالشيخ خليفة يلج على الذهاب معه ، ليصانع شخصا أخطأ في حقه ، فقال الأب يكفيك النية [2] ،" استقاها الكاتب من قوله تعالى { بِالذِيَاتِ وإِنَّمَا لِكُلِ امْرِئٍ مَا نَوَى }.

ووظف الكاتب ردّك يهون ، و نعم بالله ، ويقولونه للمسلمين عند المرور بأزمة أو شدة لتيسير أمورهم ، قال الشيخ خليفة للأب و ذلك طبعا عندما أخبره الأب بأنه يحب السفر بالجمال ،ولكن المسافات الطويلة لابد لها من قطار ، فقال العجوز ربك يهون و نعم بالله ، أيضا استعمل الكاتب كلمة الله بشكل واسع في روايته " الحمد لله أن خليفة لحق به ، دائما ما كان يقول أريد أن أسافر مع أبي يا أمي ، ... لا تخميني لم يصب الحقيقة ، أبوك أعطى هذا المبلغ لعم يحيى طواعية [3] .

" احمد الله أن القوافل لا تزال مستمرة في جلب الجمال إلى الصحراء [4]،وكلمة تدل على الثناء و الشكر لله عز و جل ، و قد ذكرت كلمة الحمد لله في سورة الفاتحة {الحَمْدُ لِلَّهِ }، لم يذكر لحمده هنا ظرفا مكانيا و لا زمانيا ، وذكر في سورة الروم ، في قوله تعالى {وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ } ، الآية 18 ، و ذكر في أول سورة سبأ {الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِير} ، و كلمة الحمد لاستغراق جميع المحامد، و هو ثناء أثنى الله به على نفسه و في ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به [5] .

و يعود توظيفه لكلمة " الحمد لله" ، وذلك ليذكرنا بنعم الله عز و جل الواسعة على الإنسان التي لا تعد ولا تحصى .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 45 .

[2]- المرجع السابق ، ص 85 .

[3]- المرجع السابق ، ص 64-167 .

[4]- المرجع السابق ، ص 300 .

[5]- محمد أمين بن محمد المختار ، ايجبكي الشنقيطي ، تفسير القرآن بالقرآن من أصول البيان ، دار الفضيلة ، دار الهدى النبوية ، مصر ، المنصورة ، 1426-2005 ، ط1 ،ص 31.

و هناك أيضا كلمات أخرى نذكر منها " كل شخص يأخذ نصيبه " [1] ، استقاها الكاتب من قوله تعالى {إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً}، فالنصيب بيد الله و كل شخص يأخذ نصيبه منذ ولادته .

" كان الله في عونك " [2] ، استقى الكاتب المعنى من القرآن الكريم لقوله تعالى {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}،و التعاون صفة من صفات المسلم ، فقد حثنا الله تعالى به ، و المسلم أخو المسلم ، في السراء و الضراء ، لذلك نجد الكاتب استفاد منه في روايته .

و كذا قوله " اكتشف عم يحيى أنه نائم وكان يحلم ... و استعاذ بالله من الشيطان الرجيم عدة مرات " [3] ،و الإعاذة صفة أمرنا الله بها في شتى أمور الحياة ، كالنوم ،و لحظة الغضب ... الخ ، و ذلك تجنبا له .

وقد وظف الكاتب الصلاة في روايته " أُحب مؤمن من الذكر الأوسط لأبي في روايته " أُحب مؤمن من الذكر الأوسط لأبي ، الرحلة ، و لكنه يحب الجمال ، و أحبه لسببين ، أولا لأنه يصلي بانتظام ، ثانيا رغم أنه هرب من المدرسة ليسا فر مع أبي كان متفوقا في دراسته ...[4] ،فالصلاة هي عماد الدين ، و هي أحب الأعمال إلى الله تعالى ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال " من أحب الأعمال إلى الله فقال : الصلاة في وقتها ، ثم قال أيٌّ ؟ قال بر الوالدين ثم قال الجهاد في سبيل الله ، و قد استعان الكاتب أيضا بالجمال في روايته " إذا كان أبي يستطيع التحدث عن شيء ما حياته ،أحبه لدرجة الجنون ، فسيكون الجمل ، رفيق رحلات الأنبياء و الحجاج المسلمين "[5] ، و قد ورد الجمل في القرآن الكريم في العديد من المواضع ، وبألفاظ مختلفة ، كقوله في سورة الغاشية {أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ }الآية 18 .، و قد ورد لفظ العير في سورة يوسف {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ}[6] ،و لفظ

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 90 .

[2]- المرجع السابق ، ص 105 .

[3]- المرجع السابق ، ص 184 .

[4]- المرجع السابق ، ص 67 .

[5]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 21 .

[6]- المرجع السابق ، ص 120 .

زْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ }، الآية 65 . و قوله تعالى أيضا{ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَنْهَا لاَ تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ }الآية 40 .

و كذا قوله في روايته " بعد الشيشة آمال خليفة جسده للخلق على الكرسي ... ثم تحركت حنجرة آدم في حلقه حركة واهنة .... [1] ، و نقع حنجرة آدم أسفل البلعوم ، وسميت تفاحة آدم نسبة إلى آدم أب البشر ، حيث يتمثلون بقصة آدم عليه السلام ، لذلك الكاتب استفاد منها في روايته ، فاستغلها أحسن استغلال .

" قالا و هما يكفئان وجهيهما في الطعام،صلي يا عم يحيى،لا تقل هذا الكلام الكبير ، الرجل ركب معنا طواعية ، الولد يقش صلي على النبي،عليه أفضل الصلاة و السلام ...[2].

و الصلاة على النبي المختار عليه السلام تزرع الخير و البركة ، تبث السكينة في نفوس العباد " امتطيت الجمل الذي ساقوني إليه ، بعد قليل سمعت الخبير يصيح ، توكلنا على الله "[3] ، و التوكل يقصد به أن يتوكل الإنسان على الله ، أي يسلم و يفوض أمره إليه، لقوله تعالى{ عَلَى المُتَوَكِّلِينَ } و قوله كذلك " اصبر يا بني إن أبوك كان صبورا"[4] ، و الصبر صفة مميزة ، منحها الله للإنسان وذلك عند الابتلاء والشدائد.

لقوله تعالى { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(200)** }

ووظف الكاتب هذه الأمور الدينية ، ليحثنا على طاعة المولى عز و جل ، و يغرس فينا حب الإيمان بالله و التقوى .

ووظف أيضا "ابتلعت ريقي،كان في لهجته نوع من صرامة بائسة ، لو ان منكر ونكيرا يتكلمان معي الآن ، فلن تختلف لهجتهما كثيرا ، صلاة العشاء و الفجر في جماعة كقيام الليل كله " [5] ، و منكر و نكير يعدون من الملائكة الموكلون بفتنة القبر .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 234 .

[2]- المرجع السابق ، ص 242 .

[3]- المرجع السابق ، ص 292 .

[3]- المرجع السابق ، ص 289 .

[4]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 203 .

[5] - المرجع السابق ، ص 347.

" إني لا أخاف من الموت في سبيل الحق و الدين ، ولا أجد خلفه إلا الجنة .... ليجازيني الله على ما فعلت فأنت خصيمي يوم القيامة " [1] ، فالموت هي اللحظة الفارقة ، التي تحدد لنا مصائرنا لأن أخطر حدث ينتظره الإنسان في حياته هو الموت ، فكل مصيبة دون الموت هينة ، لذلك نجد معظم الناس لا يبصر ما وراء هذه الدنيا ، لكن لحظة الموت يبصر فيها كل شيء لقوله تعالى {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ }.

و الكاتب أراد أن يذكرنا باليوم الموعود ، وبيوم غد ، و قد انعكس ذلك في روايته .

و كذا قوله "لم أفعل في حياتي غير انه جاء الأمر أجبت ، اقرأ، فقرأت ، كل صغيرا علي فهم معنى القراءة ، ولكنني لم أكن صغيرا في نظر أمي ، .... جزءا لا يستهان به فتدفعه إلى شيخ الكتاب ليعلمني القراءة و الكتابة ، و ينقش القراءة على لوح صدري ، قبل أن أتعلم نقشه على لوحي الخشبي بالطبشور ، وكان أول ما سمعت من أوامر الشيخ الصارمة ، الزاعفة ، اقرأ .... [2] .

لقد استقى الكاتب كلمة اقرأ من قصة النبي عليه السلام عندما نزل عليه الوحي في غار حراء ، بواسطة جبريل عليه السلام في قوله اقرأ ، فقال عليه السلام ، ما أنا بقارئ فرد عليه جبريل عليه السلام من سورة **اقْرَأْ** بقوله تعالى {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ }.

" ... فالأسماء كلها مثل العقيدة ، ليست إرثا ملزما ، أنا أحببت اسمي ، يوسف ، إذن كان الدرويش الذي علمك هو ذلك الصديق الذي أخبرت أبي عنه [3]

و الكاتب وظف شخصية يوسف عليه السلام ، لكي يذكرنا بقصته مع إخوته الذين تآمروا على قتله ، لقوله تعالى {**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10)**}، سورة يوسف الآية 10 ، أما كلمة الصديق فقد وظفها الكاتب في روايته فهو لقب الصحابي أبو بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه، حيث لقب بهذا الاسم لعفته و صدقه .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 381 ، 383 .

[2]-المرجع السابق ، ص 334 .

[3]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 318 .

كما وظف الكاتب في روايته قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر في قوله " كنت أنتظر على شاطئ البحر ، أن ينشق لي كما انشق لسيدنا موسى عليه السلام وقومه ... أم تدب الحياة على سمكتي الميتة فتقفز في الماء دليلا على اقتراب سيدنا الخضر مني، فأصاحبه ليحيرني كما حير سيدنا موسى بها ، ولكن لم أقابل سيدنا الخصر بل قابلت من كان سببا في شقاء روحي شيخا كفيفا رأيته يتربص على الشاطئ دون هاد يهديه و لا عصا ... ناداني يا عبد الله فأجبته أخبرني انه ينتظر سفينة هو و رفاقه التي تنقلهم ليؤدوا مؤونة الحج [1] ، و هناك أيضا بعض القصص الديني في هذه الرواية " اقترب مني الشاب الصغير فألقيت إليه صفيحة المنشار على الأرض و أمرته بقطع الحبال ، الحبال كانت تلمة في القطع مثل عنق سيدنا إسماعيل تحت سكين أبيه النبي عندما رأى ذبحه ففداه الله بكبش عظيم [2] ... "، و الكاتب قام بتجسيد قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام في روايته ، و هذا ما وجدناه واضحا من خلال روايته .

و ذكر أيضا في روايته " يأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد ... لم يطلب منك أن تفعل بل أن تسعى ... إلى أن يقول المختلف في تلك الليلة أن عم يحيى كان أقل حزنا لأن البيه ربنت على كتفه ، و قال لا تحزن يا عم يحيى إن شاء الله ربي يعوضنا [3] .

" ... إمش معي يا مصدق و سأعطيك كنزا ، قل خلفي ، سبحان الله و بحمده ، سبحان الله العظيم ، تعال معي يا مصدق و سأعطيك نفحة ... ، خذ يا مصدق ، حبة توفياء ووجدتها على الأرض ، يتقاسمها معي ، خذ رزقا ساقه الله إلينا [4].

لقد قال النبي عليه السلام " كلمتان خفيفتان على اللّسان، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان على الرحمان : سبحان الله و بحمده ، سبحان الله العظيم " ، فهاتان الكلمتان خفيفتان على اللسان ، باعتبار قلة كلماتها ، و سهولة تعلمها ، وكونهما ثقيلتين في الميزان ، فلأنه جاء في الحديث :" الحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله و الحمد لله يملآن ما بين السموات و الأرض و ما بينهما ، و روي أيضا ، من قال " سبحان اله العظيم و بحمده له نخلة في الجنة " ، و بالنسبة للرزق فهو بيد الله ، و هو مذكور في قوله تعالى {يَرْزقُ مَن

---

[1] - المرجع السابق ، ص 389-390 .

[2] - ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 254 .

[3] - المرجع السابق ، ص 82-188 .

[4] - المرجع السابق ، ص 231 .

يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب}، و هذا كله دليل على تعلق الكاتب بدينه و حبه له ، لذلك نجده قد صوره بأحسن صورة ، فزاد الرواية رونقا و جمالا .

كما نجد ماجد طه شيحة استعان بعدة أشكال من التراث الديني في روايته " ... يا مسكين ، الكلمات لا بد أن تؤيد من خالقها ، قل كن و سنرى كيف يمكنك أن تخلق الكون بكلمة علمها الله لنا ... لو علمها الله لي كما ينبغي لفعلت و لخلقت أرضا و سماء خاصتين بي، لا تقل كفرا يا خليفة استغفر الله ربّك ، قل لهم يتركوني و لن أعد بما فعلته"[1].

و الاستغفار صفة كريمة بثها الله للمسلم ، و ذلك عند التوبة و كف المعاصي ، لقوله صلى الله عليه وسلم : " و الله إني لأستغفر الله ، و أتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " ، و قال أبو هريرة رضي الله عنه "ما رأيت أكثر استغفارا من الرسول صلى الله عليه وسلم " و العلماء قالوا : الاستغفار المطلوب هو : الذي يحل عقد الإصرار ، و يثبت معناه في الجنان ، لا التلفظ باللسان ، وقال أيضا رسول الله عليه السلام :" من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم و أتوب إليه ، غفر الله له و إن فر من الزحف " .

و قد الكاتب كلمة المسك في هذه الرواية " ... شم مؤمن رائحة توابل و عطور محلات ضيقة على الجانبين و كأنها تبرعت من جغرافيتها غلى المسجد شاسع يقع بينهما ،.... توضأ و حضرا نفسيهما في زحام الناس بصعوبة ، ببخاخ له يد مكسية عليه رجل آخر في مدخل باب المسجد من الداخل معطرا و من زجاجة صغيرة ... في راحة أيديهما مسكا أحمر اللون ثم دفعهما تدافع الزحام...[2] ، و قد ذكر لفظ المسك في القرآن الكريم ، في سورة المطففين {خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}الآية 26 .

" ... مؤمن يقول ... أهذا هو الزمن الأعجب الذي يقتل المسلم أخاه المسلم ، و تطهر الدماء أجساد الرجال و تنجس أجساد رجال آخرين ، أهذا هو الزمن الذي يسمي فيه الرجل مؤمنا و يصبح كافرا ، و يحفر قبره بيده ، ليس حسدا لمن سبقوه بالموت ، بل مظنة النحاة من حيث يبصر الجميع ، ... إلى أن يقول لا أخاف من الموت في سبيل الحق و الدين، و لا أجد خلفه إلا الجنة [3] .

---

[1]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 237-238 .

[2]- المرجع السابق ، ص 132 .

[3]- المرجع السابق ، ص 376-381 .

و القصد من ذلك أن الله أمرنا بالأخوة و التعاون و التماسك ، حيث كانت الغاية من وراء ذلك هو التنبيه و الإرشاد ، لذلك نجد يقول " كجسد واحد إذا اشتكى منه جزء ، تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى"[1]، وكذلك هناك أمور دينية استعان بها الكاتب في روايته " سن الأربعين سن مثمر ، سن النبوة [2] ، و الحكاية الثانية عن ابن تومرت الذي عاش سبعمائة عام فوق الأرض و ستمائة في باطنها كأهل الكهف [3] .

وأصحاب الكهف هم الذين آمنوا بالله و تركوا عبادة الأوثان و عبدوا الله وحده، هكذا يطلق عليهم عند المسلمين ، ويطلق عليهم عند المسيحيين السبعة النائمون الذين عاشوا في اضطهاد المسيحيين و كان ذلك في ظل حكم ديقيانوس .

و كذا قوله " ماذا تحفظ ؟ الكتاب و الصحيحين و بعض المتون في الفقه و العقيدة و الحديث و التجويد طبعا ، همس الإمام للرجل على يمينه فقام و اصطحب مصدق إلى الخارج و بقيت أنا و الذهول الجالس يساره ، لا يتكلم كلمة واحدة طيلة امتحان الغمام لي ... لا باس بحفظك يا مؤمن سيكون لك سأمن ، يمكنني أن أكتب خطابا للتزكية إلى من تريد من علماء الأندلس و يمكنك أن تصل إلى ذروة سنام الإسلام معنا هنا ، الأمر بالمعرف و النهي عن المنكر و الجهاد في سبيل الله ، .... تعلم الناس بما فتح الله عليك و أعلمك مما رزقني المولى [4] .

و قد وظف الكاتب أدعية كثيرة في روايته " درب الأربعين " و هي كالتالي " اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة ، والمغفرة الشاملة و المحبة الجامعة و الخلة الصافية و المعرفة الواسعة ، و الأنوار الساطعة و الشفاعة القائمة و الحجة البالغة و الدرجة العالية ،و فك وثاقنا من المعصية و رهاننا من النقمة بمواهب المنة ، اللهم إنا نسألك التوبة و دوامها ، ونعوذ بك من المعصية و أسبابها و ذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطرائها ، و احملنا على النحاة منها ومن التفكر لما هو بضدها و فض علينا من بحر كرمك و جودك ، حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها ... إلى ان يقول و هب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نخاف غيرك و لا نرجو غيرك و لا نحب غيرك و لا نعبد شيئا سواك و أوزعنا شكر نعمائك

---

[1]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 400 .

[2]- المرجع السابق ، ص 140 .

[3]- المرجع السابق ، ص 400 .

[4]- المرجع السابق ، ص 254-255 .

و غطنا برداء عافيتك و انصرنا باليقين و التوكل عليك و أسفر وجوهنا بنور صفاتك وأضحكنا و بشرنا يوم القيامة [1] و هناك دعاء آخر " وهب لنا ريحا طيبة كما هي في علمك و انشرها علينا من خزائن رحمتك و احملنا بها حمل الكرامة مع السلامة و العافية في الدين و الدنيا و الآخرة ، إنك على كل شيء قدير ، اللهم سير لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا و أبداننا و السلام و العافية في ديننا و دنيانا و كن لنا صاحبا في سفرنا و خليفة في أهلنا و اطمس على وجوه أعدائنا و أمسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضي و لا المجيء إلينا [2] .

و هذه الأدعية شائعة عند المسلمين ، فالدعاء هو مناجاة العبد لربه في أي وقت سواء بعد الصلوات أو في الثلث الأخير من الليل أو في أي وقت يريده الإنسان المسلم ، وله أهمية في حياة المسلم ، بحيث يعتبر عبادة عظيمة يحصل المسلم من أدائها على الأجر و الثواب ، ويقرب العبد من ربه و يفتح الأبو اب المغلقة ، ويحقق للعبد ما يتمنى ، كما يرفع غضب الله عز و جل ، فالله تعالى يحب أن يسمع صوت عبد و هو يناجيه ، فهو يحمي المسلم من التكبر ، حيث أن الله سبحانه و تعالى نهانا عن هذا الخلق السيئ ، و الدعاء بطبيعته يزيل الهم ، و يشرح الصدر ، ويزيل الغم ، و للدعاء آداب ، أن يتوضأ المسلم و يستقبل القبلة و يناجي ربه بصوت منخفض و يرفع يديه ، و لا يرفع صوته بالدعاء ، ولا يختار الكلمات و القوافي فالأفضل أن يدعو العبد ربه بلغته الخاصة ، ويخشع في دعائه و يلح و يتوسل إلى الله و يتضرع إليه .

كما نجد ماجد شيحة استعان بالأحاديث النبوية الشريفة ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم " إن مثل ما بعثني الله عز و جل من الهدى و العلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت طائفة طيبة قبلتن الماء ، فأنبت الكلأ و العشب الكثير"[3] .

و في الحقيقة هذا لحديث في تشبيه بليغ ، لأن الدعوة النبوية التي جاء بها النبي صلى الله عليه و سلم من عند الله بمثابة الغيث ، و الناس حيال الدعوة يشبهون أنواع ثلاثة من هذه الأراضي ، أرض مخصبة ، قبلت الماء ، و أنبتت الكلأ ، و أرض مجدبة ، أمسكت الماء ، و لم تنبت الكلأ ، و أرض قيعان لم تمسك الماء و لم تنبت الكلأ .

---

[1]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 43-44 .

[2]- المرجع السابق ، ص53-54 .

[3] - ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 392.

كما وظف حديثا آخر في روايته " لو قامت القيامة و في أحدكم فسيلة فليزرعها " [1] ، وتفسير هذا الحديث انه على الإنسان ان يحرص اشد الحرص على بيئته ، و غن كان يمتلك أي شيء يستحق الزرع فليزرعه ، حتى و لو قامت القيامة .

و قال النبي صلى الله عليه وسلم :" منهومان لا يشبعان طالب العلم ،و طالب مال "[2] ، و القصد من هذا الحديث أنهما لا يستويان ، فطالب الدنيا أو المال يتمادى في الطغيان، وطالب العلم يزداد من رضا الرحمن لقوله تعالى من سورة فاطر { وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28) } الآية 28: سورة فاطر ، و المنهوم من المال لا يشبع غير قنوع .

و هناك حديث آخر لقوله عليه السلام :" لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا و تعود بطانا " [3] ، ومعنى ذلك أن يتوكل كل الإنسان دائما على الله و يسلم له أمره ، لأنه هو المدبر و الرزاق .

و قوله " ... وصلت لقناعة ، وهي أن ذلك الدرويش الغريب ليس سارقا للجمال ذأّ ه جني من جن الصحراء ، وعندي دليل على ذلك ، الجن يتغذون على الجلود ، النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، يتغذون على العظام و الجلود ، و دواب البعر يتغذون على بعر بلادنا [4] .

و هذه الأحاديث النبوية الشريفة ، استفاد منها الكاتب في روايته ، فقد ساعدته على إيصال الفكرة بأسلوب مميز ، وهذا يعود إلى نضجه الفكري .

كما وظف الكاتب دعاءا يتمثل في دعاء النوم " أضطجع على شقي الأيمن ، و أتلوا دعاء النوم ، الذي كان منقوشا على ذاكرة لساني ، دون أن أتمعن في الكلمات ، باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك ارفعه ، فان أمسكت نفسي فارحمها و إن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين [5] .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 146 .

[2]- المرجع السابق ، ص87.

[3]- المرجع السابق ، ص 105.

[4]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 36 .

[5]-. المرجع السابق ، ص 107-108 .

و قد استعان الكاتب أيضا بالقرآن الكريم في قوله " الله يتوفى الأنفس حين موتها و التي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت و يرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} ، والكاتب وظف هذا القول في روايته ، لان مصدق من شدة الخوف أغمي عليه في قوله " كانت أول يقضتي برواية ورش و بصوت جميل ، كان هناك من يقرأ القرآن غلى جواري ، يقرأ من صدره ، لا يقرأ بهذا الأسلوب إلا حافظ صوته يروح ويجيء ، وكأنه يتجول حول الخيمة أو تلاعب الرياح وجهه (الله يتوفى الأنفس [1]... و قد جاء في تفسير الآية ، ما يوضح هذا ، وهو أن الله سبحانه و تعالى ، يجمع أرواح الموتى وأرواح النائمين و تتلاقى و تتعارف و تختلط ، ثم يمسك الله الأرواح التي قضي عليها بالموت في مكانها ، و يسمح للأخرى أرواح النائمين ، و بالذهاب إلى أجسادها ، فيستيقظ صاحبها .

و ربما يعود الغرض من توظيف الكاتب في هذه الآية الكريمة أن يذكرهم بالموت ، و أن هذه الدنيا فانية ، و كلنا زائلون ، ولن يبقى سوى وجه الله تعالى .

بالإضافة إلى أن الكاتب وظّف قصة يأجوج و مأجوج " كم كان مصدق مسكينا مثلي ، مسكينا و حائرا .. خامات بنياتها بنيان سد يأجوج و مأجوج ، فإذا أخبرته بقول النبي صلى الله عليه وسلم (إذا التقى المسلمون بسيفهما و كلاهما في النّار) ، فيجيبني بقول الله تعالى {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما } [2] .

و جاء في التفسير يأجوج و مأجوج أمتان عظيمتان من بني آدم ، مفسدون في الأرض بإهلاك الحرث و النسل ، أما تفسير الآية الكريمة هو الإصلاح الواجب فإن تيسّر الإصلاح وجب تقاتل الباغية ، فإن كانت متعمدة للظلم و العدوان ، فهي متعودة بالنار لأنها متعدية و ظالمة ، فأما إن كانت مجتهدة و تظن أنها على صواب فهذا أمرها إلى الله ، و لا يضرها إذا كان كانت مجتهدة متحرية للصواب ، فأمرها بها الله سبحانه و تعالى لأن الإنسان قد يقتل و قد يمتنع الصلح ، يرى أنه مصيب ، و يرى انه مجتهد ، و أنه الأولى بالأمر ، فهذا إذا كان يعلم الله من قلبه انه مجتهد و أنه طالب للحق متحر للحق ، فإن هذا

[1]- المرجع السابق ، ص 303 .

[2]-ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 370 .

لا يقال:إنّه إلى النار ، بل أمره إلى الله سبحانه و تعالى و لا شيء عليه ، فله أجر و إن أصاب فله أجران ، وا ن أخطأ فله أجر واحد .

و بالنسبة إلى تفسير الحديث (إذا التقتا المسلمون فكلاهما في النار) ، محمول على الطائفتين غير المجتهدين الظالمتين ، إذا التقتا و كلاهما ظالم متعد فكلاهما متوعد بالنار ، كالقتال و العصية و الظلم و الهوى ، فهذا كله متوعد بالنار ، أما إذا التقتا الفئتان عن اجتهاد ، و إذا قتل منهم احد فله اجر شهيد .

كما استدل الكاتب في روايته بقوله " ... بينما انشغل لساني بتلاوة ما أسعفتني به الذاكرة ، ولا الظالمين آمين ، غاسق إذا وقب ، من الجنة و الناس ، الله الصمد الذي لم يلد و لم يولد [1]... ، و كذا قوله ... يحكمون عن الشيخ خليفةأنّه ظل يهرب من حملات القبض عليه ... و يلملم عظام الموتى إلى جانب بعيد من القبور و يستلقي في الجانب الآخر، يتمتم بالمعوذتين [2] .

والمعوذتين تقي الإنسان من شر الدنيا و من وساوس الشيطان ، وتقال عند النوم و عند أذكار الصباح و المساء ... الخ ، والغرض من توظيف هذه الآيات هو التحفيز و التنبيه .

كما وظّف الكاتب جانب آخر من التّراث الديني يتمثل في الزواج بقوله "كان النّاس يقولون لي بعد أن بلغت الأربعين : تزوج يا عم يحيى الزواج نصف الدين [3] .

و السنة دلت على مشروعية الزواج ، وأنه سنة من سنن المرسلين و بالزواج يستطيع الإنسان بتوفيق الله تعالى التغلب على كثير من نزاعات الشر ، فإن الزواج أغض للبصر ، و أحصن للفرج ، كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ، فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج " ، و روى البيهقي في الشعب عن الرقاشي بلفظ " إذا تزوج العبد فقد كمل نصف الدين ، فليتق الله في النصف الآخر"

و في الأخير نستنتج مما سبق ،نأ الكاتب ماجد طه شيحة ، قد تمكن من توظيف التراث الديني بشكل واسع ، و هذا يدل على تمسك شخصيته بالدين ، و سكون قلبه ، وكذا خلفية معرفية و فلسفية ، تدل على تشبع الكاتب بالتراث العربي الإسلامي ، من فلسفة و تاريخ و علوم شرعية .

---

[1]- ماجد شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 245 .

[2]- المرجع السابق ، ص 79 .

[3]- المرجع السابق ، ص 223 .

1-تجليات التراث الصوفي :

يعتبر التصوف ظاهرة فريدة تمس القلب و الروح قبل الجوارح و الأعضاء ، فهو مرتبط بالمجاهدة و الرياضة النفسية و الأحوال و المقامات ، لأنه روح جديدة تمزج بالعاطفة الدينية المؤسسة على أعمال القلوب ، وهي تنحصر في التصديق و الإيمان و اليقين ، و الصدق ، و الإخلاص ، و المعرفة ، والتوكل ،و المحبة ، و الشوق ، والوجد .

أما التراث الصوفي فهو ذلك التراث الذي يعتمد على المعرفة التي تتكئ على الخيال و الحب الإلهي ، مما يعمق الرؤية الروحانية للأديب المتصوف ، وعلى اعتبارنأ الكاتب ماجد طه شيحة كان له نصيب في الاغتر اف من التصوف ، والذي يمثل له اكبر اتجاه ومنحى فكري يسير عليه ، لأنه كان يسعى إلى السمو الإلهي و الصفاء الروحي من خلال تقاطعه مع أفكار الصوفية ، حيث نجد الكاتب وظّف التّراث الصوفي بشكل كبير و ذلك من خلال عنوان الرواية " درب الأربعين " والتي تعني الطريقة الصوفية ، فالكاتب حاول أن يكشف في رواته طرق الصوفية و ذلك من خلال أعمالهم فنظرتهم للدين كانت عكسية لأنهم يقومون بتعذيب أنفسهم من اجل التقرب غلى الله عزوجلّ ، و التراث الصوفي موجود بكثرة في هذه الرواية " في وقت ما من مراهقته انظم خليفة إلى نادي البلدة حيث كانوا يمارسون طرقا غريبة لتقوية عضلاتهم و تنميتها أشبه بالطرق التي يمارسها الكهنة غريبو الأطوار في معابد الشاولن ، يصبون الأثقال الحديدية في طارات الغرابيل الكبيرة و الصغيرة ، و يكسرون عظام أحواضهم بطرق وحشية أقرب للاغتصاب منها للرياضة ، ... كانوا يقومون بإشعال النار في حطب يجمعونه و يضعون عليه جرادل من الصفيح مليئة بالرمل و يغرسون أيديهم في الرمل الساخن منفرجة الأصابع [1] ... .

" شيخ الطريقة له كرامات مشهورة .... ينظم أمور الأتباع الذين يقسمون بين مريد ومحب ، المحب أقل في الطبقة من المريد ، يمكنك أن تكون مريدا باجتهادك في الأوراد و الأذكار و العبادة ثم قال بثقة من منطق مأثور : ليس المريد من سبق و لكن من صدق ... هؤلاء صوفية !!جئت بنا كل هذه المسافة يا خليفة لنصبح دراويشه ، تطوف حول القبور و نتمسح بها و نكلم الأموات و نستنجد بهم ... ألا تعلم معنى ذلك الصوفية ، الابن الأكبر

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 116 .

هو الذي يرث الطريقة و لا بد أن يكون مهيأ لذلك .... الطرق الصوفية دين ، والدين ليس عقارا أو ما لا يورث [1] .

فالصوفية تعتمد في طرقها ، بشكل عام على مجموعة ممارسات تقوم على نبذ الدنيا والعمل و التفرغ التام للطاعة و العبادات ، بالإضافة إلى مجموعة من الأوراد و الأذكار التي يتوارثها الصوفيون من شيخ لآخر ، و تختلف الصوفية التي اتبعها المشايخ الكرام في تربية مريدها باختلاف مشاربهم ، أي أذواقهم الروحية ، واختلاف البيئة الاجتماعية التي يطهرون فيها و اختلاف الأهداف التي ينشدونه ، فقد يسلك المشايخ طريق الشدة في تربية المريدين ، فيأخذونهم بالرياضيات العنيفة ، ومنها كثرة الصيام و السهر و كثرة الخلوة و الاعتزال عن الناس و كثرة الذكر و الفكر ، و قد يسلك بعض المشايخ في تربية المريدين ، فيأمرونهم بممارسة شيء من الصيام مقدار الليل و كثرة الذكر ، و لكن لا يلزمونهم بالخلة و الابتعاد عن الناس إلا قيلا، ومن المشايخ من يتخذ طريقة وسطى بين الشدة و اللين في تربية المريدين ، و لذلك قبل الطرق إلى الله على عدد أنفاس الخلائق [2] .

كذلك هناك بعض الأشكال من التراث الصوفي الوارد في رواية " ماجد شيحة " نذكر منها : "تأملت الكلمات التي اعتنيت بانتقائها ، رجل عجوز في الخامسة و الستين من عمره ... ، يرتدي طاقية رأس صوفية بنية اللون م يجده يتصل برقم [3] .

" خليفة عاش مع الصوفية في قوله ... مكث أكثر من شهرين متتاليين لا يقطعهما ... و عندما عاد ، عاد أكثر نحافة و هدوء و صمتا ... ليست نضرات غصب و لا رضا ونظرات أقرب إلى المراقبة و الترقب ... توفي شيخ الطريقة و ترك ابنا عاصيا و حفيدين ، فأقر الابن العاصي وراثة الطريقة ، وجعل الوصول لدرجة المريد بالسبق ، كل وارد منتم جديد على الطريقة يصير محبا طيلة حياته...[4] .

" و لكني لم أعد مواظبا على الحضور ، تصور جزء كبير من المريدين يدخن السجائر رغم حرمتها في طريقنا لمجردنأّ هذا الرجل بدأ يدخن ، ويخشون أن يأتيهم الشيطان فيوسوس لهم أنهم أفضل من الشيخ لأنهم لا يدخنون !![5] .

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 133-134 .

[2]- ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة wikkihttpp:\\har.m.wikipedia.org

[3]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 20 .

[4]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 140-143 ..

[5]- المرجع السابق ،ص 144 .

الصوفية هي طفولة العالم يا مصدق ، ... ربنا جعل لك من اسمك نصيبا ، نحن لا نأتي إلى هذا العالم لنأكل و نشرب و نتزوج يا مصدق ، نحن خلفاء الله في الأرض ، وكل من لا يعمل لإثبات ذلك يجحد نعمة الله و يعيش كالهائم أو كالعاقل [1] .

" ... أناخ أبوك الجمال بعيدا عن مولد البدوي ، ترك خليفة حراستها ، ولكن خليفة ربط الجمال مخالفا أوامر أبيك و تبعه غلى الخيام التي تضم طرق صوفية مختلفة .. رأى ابك واقفا وطابور طويل من الرجال يأخذون يده و يقبلونها ... أبوك كان له تأثيرات على الحيوانات حتى المفترس منها كان يجتهد في إخفاء كرامته ... و لكن حكاية طنطا حكاية أخرى... رأى الرجال يقيمون الأعمدة الخشبية لخيام الطرق الصوفية ... هذا العمود موزون مع الأعمدة الأخرى، وسيتسبب في وقوع الخيمة بعد خمس ساعات من إقامتها ...[2] .

" ... يقطعون سيرهم عندما يرون القبة الخضراء يأتون و يسألون : أين الجامع؟، فأجبتهم ليس جامعا و لكن مقام ولي ، أولياء الله الصالحين ، إن أردت فصل معنا ، نفرش ونتوضأ، و نصلي منذ بني المقام ، و أصبح من النادر أن نهمل صلاة نصليها ..." [3] .

" بعد خمس ساعات بالضبط من إقامة الخيمة و أثناء الحضرة ، سقطت نفس تلك الخيمة على الناس ، سادت الفوضى ، وطار الكلام [4] ... ، و الحضرة هي مصطلح صوفي يطلق على مجالس الذكر الجماعية و التي يؤديها المسلمون للطرق الصوفية السنية ، بشكل خاص ، و يكون على رأسها شخص عارف بالطريقة ، ينبه على كل ما من شأنه أن يشوش إمكان الوصول إلى لحظة الصفاء ، و سميت بذلك لأنها سبب لحضور القلب، وهي ركن هام في الطريقة الصوفية ، يتم فيها أداء أشكال مختلفة من الذكر ، الخطب، وتلاوة القرآن و النصوص الأخرى من أدعية و أوراد و إلقاء الشعر و الإنشاد الديني، والدعاء و الذكر بشكل إيقاعي ، و تلاوة أسماء الله الحسنى ، ويستخدم المحافظين من الصوفية أحيانا الدفء أثناء الحضرات، في حين بعض الطرق تستخدم آلات أخرى ، ونعرف الحضرة بهذا الاسم في الدول العربية و بعض الدول الإسلامية غير العربية مثل

---

[1]- المرجع السابق ، ص 147 .

[2]- المرجع السابق ، ص 267-268 .

[3]- المرجع السابق ، ص 222.

[4]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 138-139 .

اندونيسيا و ماليزيا ، في حين تعرف بالأسماء أخرى في تركيا و دول البلقان ، وتكون في معظم الأحيان في ليلة الخميس ،بعد صلاة العشاء أو يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة.

و لذا نجد الكاتب وظف الحضرة في روايته ،ليبين لنا أساليب الصوفية من خلال الحضرة ، فهم يقومون بأعمال خارقة ، غير عادية ، و ذلك تقربا من الله ، لكن هذا المفهوم يعتبر مفهوم سلبي وغير عقلاني.

و من ألفاظ الصوفية " تقدم تقدم ، مر ، مر ، ... وصل ردك ثم عد ... ، لماذا رفض أن أقبل يده ؟ لأنه لست من أبناءه ، لو كان الخليفة لرفض مصافحتك من الأساس ، و هو يوجد مسلم يرفض مصافحة مسلم ، عندما يختلف معنى المصافحة من التحيّة إلى المبايعة ... البيعة على أي شيء ؟ على طاعة الله و رسوله ، اسمع يا خليفة ، أنا لا احتاج إلى واسطة إلى الله و لا إلى ... [1] .

" ثم صاح صائح : الله الله ، و أخذ يكررها مثل دقات طبل تحفيزية ... ثم صاح نفس الصائح مرة أخرى فجلست الصفوف ، وساد بينهم هدوء عميق طويل ، و فجأة صاح نفس الرجل (لا إله إلا الله) ، فوقف جميع المتواجدين بالمسجد آخذين بتكرارها معه منغمة مع تصفيق خفيف الذي يصيح لضبط إيقاع الأنفاس الخارجة في نطاق الحروف ، ... .

ثم تغير لفظ الصيحة مع نفس الاهتزاز و التصفيق حي،حي،مائة مرة على الأقل، مائة مرة على الأقل ، لم يحصها على الأقل ... ثم انفجرت صيحة جديدة بروح جديد، قيوم [2] .

و هناك مصطلحات عديدة للصوفية ، منها ما ينتمي إلى " الطريق " مثل السفر ، و الرحلة ، و الحج ، و السلوك و السالك و المقامات و الأحوال ، و المجاهدة ، والوصول ، والواصل ، و الغاية ، و المعراج و السائر ، و منها ما ينتمي إلى التجربة الصوفية ، مثل التجربة ، الرؤيا ، النزغ ، و الغلبة ، الهذيان ، الخواطر ، و الوارد و النقر ، و الهواجم ،و الهواجس ،أما المصطلحات التي تنتمي إلى " المذهب " مثل : الإحسان ، الإرادة ، الحضرة ، والفيض ، و الجذبة ،و الولاية ، و حقيقة الحقائق و أمهات السماء ، و الشيخ ، و المريد ، و القطب ، و الولاية ،و الإنسان الكامل، والغوث ،وقطب الأقطاب ، الطريقة ... الخ .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 138-139 .

[2]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 13-136 .

و هناك مصطلحات تنتمي إلى الأحوال و المقامات "مثل التّوبة و الورع ،و الزهد ، والفقر ، والصبر ، التوكل ، و الرّضى ، و التأّمل ، و القرب و المحبّة ، و الخوف و الرجاء، و الشوق و الأنس ، و الطمأنينة ... الخ .

و بالنسبة لمصادر المصطلحات الصوفية و مرجعتها الاشتقاقية فهي عديدة تتمثل في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ، و علوم اللغة وعلوم الشريعة ، و علم الكلام والفلسفة، و الآداب ، والعلوم التجريبية و العلوم الحقة .

كما أن المتصوفة يقومون بدفن أنفسهم داخل القبور لكي يرو منكر ونكير وهذا ما وظفه المكاتب في روايته من خلال تجسيده لشخصية ابن تومرت "[1] لزم ابن تومرت خيمته ، يصلي و يفكر ، أنا أيضا لم ينقطع عجيج الأسئلة التي يبثها الشيطان في أذني ، كيف سيستعيد ابن تومرت قلوب النّاس حوله ، و ماذا ستكون معجزته القادمة ، هل سيجعلنا نرى جبريل عليه السلام ، يجوب الصحراء و الزرع ، ينبت تحت فر فرسه أم سيحيي لنا الموتى في قبورهم ؟ .... نظرت إلى الرمال ، حيث بدأ ابن تومرت برسم بعصا في يده دوائر متجاوزة ، لقد ادخرتك لهذه اللّحظة، غدا بعد أن تنتهي المعركة ، ستذهب أنت و بعض ممن تتخيرهم من رفاقك إلى هناك ، و ليكونوا ضئيلي البنية ، تحفرون و سأنادي القتلى الذين دفناهم ، و اسألهم عن وعد الله لهم بالجنة ، فيجبونني بأنهم قد وجدوا ما وعدهم حقا[2] ...، و ابن تومرت شخصية دينية ، أوفى بعلم واسع ، فقام الكاتب بتجسيده في روايته كشخصية دينية ، ليكشف لنا أسرار الصوفية .

و هناك أيضا مفاهيم أخرى ، استعان بها الكاتب في روايته منها ، " ... إذن كان أبي بكره خليفة لهذا السبب ، إلحاحه عليه بأن يأخذ عليه العهد و يرث الولاية ! ، هذا أمر شائع بشدة في الطرق الصوفية ، تلعامل مع الدّين كأنه إرث و ليس عقيدة [3]... .

" بقيت في دار و اسأل عنه خبراء القوافل العائدة كثيرون ، أخبروني أنه من الجن ، وبعض الناس قالوا لي إنه قطب من الأقطاب ، لقد قرأت كثيرا في هذا الموضوع ،محاولا العثور على طرف خيط ، الإنسان الكامل أو" الحقيقة المحمدية"، يسميه الصوفية قطب

---

[1] - ويكبيديا الموسوعة الحرة wikki ,htpp//ar,m,wikipedia,org

[2] - ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 372-372 .

[3] - المرجع السابق ، ، ص 269 .

الوقت أو صاحب الوقت ، أو " صاحب الزمان " أو "الغوث"، تسميات عديدة تشير إلى ذروة الوصول إلى الكمال البشري ، و لكنني غير مقتنع بكل هذا ، كل شيء له قواعد و أسرار، ما قاله لي عن فنون الاختباء و التنقل ، وما علمه لأبيك عن كيف جعل الحيوانات تحبه ولا تؤذيه ، كلها قواعد ، نحن لم نصل موجات التي تنتج عن إلقاء حصاة في بئر عميق ، هذا الرجل وراءه كنز من المعرفة ، .... فإذا فارقته انقطع عنك خيط العلم [1] ... .

عندما مر بنا لم يصح الخبير لا بما ظل يصيح به بين الصفوف ، الرجل المبارك معنا ، فالرجل المبارك منذ سمع من أفراد القافلة عني ، عن الابن الذي يبحث عن أبيه ، لم يعد يبيت بجواري ، ... ولكن لازمني شعور منذ لازمني ذلك الدرويش كلن يأتيني ذلك الشعور بشكل أخف ، لعلها إحدى بركاته التي أنكرها ، ... فمنذ رافقني هذا الدرويش ، صار تعجل الضوء عادة أخرى ملازمة لي ، انتظر الضوء لأرى وجهه ، و أتأكد أن ما دار بيني و بين هذا الرجل المتصوف من حوارات تم في الحقيقة ... ترى ما حكاية هذا الرجل ، أيكون ضحية لصوص أو مهربين أم ضحية رغبة صوفية دفن نفسه بالحياة عقابا على ذنوب يراها كالجبال و نراها كالحصى [2] .، و هذا يعني أنّ الصوفية يقومون بتعذيب أنفسهم بشتى الوسائل و الطرق ، وذلك عقابا على ذنوب اقترفوها ، وذلك من أجل طلب التوبة و المغفرة من الله تعالى .

كما وظف الكاتب أفكار أخرى عن حياة الصوفية بقوله " الدراويش الذين يعبدون الله بالحب ، و من عبد الله بالحب فقط تزندق كما قال لي مؤمن ذات مرة ، و لكن عمن عبد الله بالعلم دون حب أو بالخوف دون حب ،الحب يشبه ملح الطعام ، يصلح كل شيء ويفسد كل شيء ، لم أر درويشا في حياتي من قبل عدا الشيخ خليفة ، درويش نمطي يتكلم بالألغاز ، بجمع قوالب الطوب الأحمر ، و لا يركب المواصلات و ينام في القبور و يصلي وحده إلى قبلة منفردة [3] ... .

" ... فالطريقة التي أنا شيخها الآن ليس لنا مكان نجتمع فيه ، و إن لم تلتق اثنان منا في هذه الصحراء مصادفة نادرة فنحن نلتقي في عيذاب سنويا ، نجدد العهد و نتبادل حكاية سير مشايخنا الأوائل ، وماذا تفعلون في هذه الصحراء ، نحن في حالة عزلة و حمية من

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 286 .

[2]- المرجع السابق ، ص 307-308 .

[3]- المرجع السابق ، 311.

علاقات الناس ، نرشد التائهين ، ونتعلم الحكمة ، من الرمل و العشب القليل ، و تدفنون أنفسكم في الر ّمال، نحن نتكلف الدفن لاستدعاء ذكرى الموت إلى العقول اللاهية[1] .

" ... بعض الناس الذين عرفتهم في حياتي كانوا يفلسفون عدم استيقاظهم لصلاة الفجر بعيدا عن كونه ذنبا ، يقولون بان استيقاظ الفجر شقاء في غير موضعه أو عذاب الله سبحانه و تعالى في غنى عنه ، أوذإّ ها صلاة الأغنياء الذين لا ينامون متأخرين مرهقين بسبب العمل طيلة اليوم ... إن العصر الذي يبرز فيه الفقراء ذنوبهم لهم عصر مشئوم [2] .

" ... ثلاثة أيام مرت علي سريعا و أنام في الحفرة ، أنا آكل و أشرب و أقرأ واقفا تصفحت بقيت الرقاع بحرص شديد سريعا قبل أن تعم الظلمة التي تأتي بعد العصر مباشرة و تصبح تامة قبل الغروب .... شواهد القبور التي نثرها في الصحراء فوق كل حفرة نام فيها، أو مات فيها فبعثه الله فأصبحت مقامات [3] .

كذلك نجد من الألفاظ الصوفية ُر..ْمـ ُر ْ ، هنا وجد مؤمن في نفسه ينحني ليقبل يد الشيخ الذي جدب يده بسرعة ، وضمها إلى صدره ، وهمس بكلمتين ، فتحير و ظن أن يده متسخة ، فأدارها ، و نظر فيها ، دفعه الرجال تقدم تقدم ، مرمر ، ... و صل وردك ثم عد [4] ... " .

كما قد استعان الكاتب بشخصيات صوفية في روايته ، أمثال " الإمام الشاذلي " و " عبد الله الونشريسي "" عن هذا الشيخ الأول هو الإمام الشاذلي .... فالإمام الشاذلي لم يقم هنا، و إن مر في رحلات الحج إلى مكة [5] .

" .... رأيت عبد الله الونشريسي ، .... وقف و حمد الله و صلى على النبي .... من أراد ان يختبره فليختبره ، تدافع القوم بأصواتهم ، يسألنه في ذهول ، ذلك يسأله عن آية وتفسيرها ، وهذا يسأله عن متن الحديث و سنده و مدى صحته .... قال عبد الله الونشريسي ،أن كنتم تكذبوني فيما قلت ، فالملائكة التي ضقت صدري تختبئ في بئر

---

[1]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 322-323 .

[2]- المرجع السابق،ص 332 – 333 .

[3]- المرجع السابق ، ص 395 .

[4]- المرجع السابق ، ص 138 .

[5]- المرجع السابق ، 319 .

عظيم ، فتصايح الناس ، أرنا الملائكة ، سأجعلكم تسمعونها و لكنكم لن تروها و إلا غشيت أبصارهم من النور [1] ... .

و شخصية الشاذلي لي هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي ، الز اهد ، الصوفي ، إليه تنتسب الطريقة الشاذلية ، سكن الإسكندرية ، ولد 571 هـ ، بقبيلة الأخماس الغمارية ، تفقه في تونس ، و مفتاح طريقته مفتاحها الحب في مقابل طريق المجاهدة ّ ، المعروف قبله ، و في حديث الأعرابي الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم: متى الساعة ؟ فأجابه " أني أحب الله و رسوله " ، قال صلى الله عليه و سلم " المرء مع من أحب [2] .

أما عبد الله الونشريسي هو عبد الله الونشريسي هو أبو العباس أحمد بن يحيى، بن محمد ، بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني الأصل و المنشأ ، الفاسي الدار و الوفاة ، و المدفن ، المالكي ، الفقيه العلامة ، العالم ، حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة ، ولد رحمه الله بجبال ونشريس ، التي تعد أكثر الكتل الجبلية ارتفاعا في غرب الجزائر و نشأ بمدينة تلمسان ، حيث درس على يد مجموعة من العلماء ، حيث يعتبر شخصية الونشريسي رحمه الله ، من أهم من برز في علم النوازل ، جمعا و تأليفا [3].

و منه نستطيع القول ان الكاتب ماجد طه شيحة ، قد جسد شخصية الإمام الونشريسي في روايته كشخصية صوفية ، لذلك نجده استفاد من التراث الصوفي بشكل واسع ، فانعكس ذلك في روايته ، فقد أراد الكاتب اكتشاف بعض مفاهيم الصوفية و نظرتهم إلى الدين الإسلامي .

2-تجليات التراث الشعبي :

يعد التراث الشعبي فضاءا مفتوحا عل الثقافة العربية كونه في أعماق التراث ، من خلال التعرف إلى عادات و تقاليد و معتقدات و أخلاق الشعب أو المجتمع .

فالتراث الشعبي يتسع ليشمل سلوكيات الأفراد في حياتهم اليومية و علاقتهم بالآخرين ، فهو يتصل بجميع مناحي الحياة ، و يمتد رابطا لماضي الشعوب بحاضرها ، و من أهم عناصر التراث الشعبي في هذه الرواية نجد : الأمثال الشعبية ، العادات و التقاليد ، النكت

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ص 365 – 366 .

[2]- ويكبيديا الموسوعة الحرة wikki ,htpp//ar,m,wikipedia,org

[3]- ويكبيديا الموسوعة الحرة wikki ,htpp//ar,m,wikipedia,org

، الأغاني الشعبية ، و كذا الحكم و المأثورات ... الخ ، حيث تعتبر هذه الأخيرة (الحكمة) على أنها حالة آو صفة يتم من خلالها التمييز ما بين المقبول و الغير المقبول ، مقترنا بحكم عادلة و بصيرة ، و تشمل الحكمة القدرة على التعلم و التلفظ بأقوال حكيمة و التصرف بحكمة و موعظة ، فالحكمة تعبر عن بالمعرفة التي يكتسبها الفرد من خلال التجارب و الخبرات التي مر بها ، بهذا يمكن التمييز بين الذكاء و الحكمة ، و الذكاء يعبر عن معرفة الشيء مقبولا القيام به أم لا [1] وهي لا بصفة عامة لسان الشعب تعبر تجربة الفرد و المجتمع في حياته .

و لذا نجد الكاتب ماجد طه شيحة وظف الحكم و المأثورات بشكل واسع ، و هذا يعود إلى خبرته الواسعة بالثقافة الشعبية ، فاستفاد منها ووظفها في مدونتيه ، نذكر منها " الدنيا لا تعطيك ما تتمناه دفعة واحدة ، بل دفعات متتالية [2] .

و القصد من هذه الحكمة أن يتحلى الإنسان بالصبر و القناعة لأن الدنيا لا تعطيك كل شيء دفعة واحدة ، بل بالتدريج ، و يقول : " لا احد يعطيك شيئا بالمجان[3] " أي الإنسان يجب عليه أن يعمل و يجتهد لتحقيق طموحاته و رغباته ، و أن لا يذل نفسه لأي إنسان ، لان كل شيء أصبح بالمقابل .

" الأحلام بخلاف الواقع ، لا تنبني من أسفل على قواعد ثابتة ، و لا تهبط إلى الأرض لتبحث عنها بل تبزغ من الأعلى و تنتظر الواقع أن يسمو إليها [4] " ، وذلك لان الأحلام هشة ، فلا تبنى الحياة على أسس و قواعد ثابتة ، و لا يمكن أن تصعد إلى الأسفل فلا نجدها على أوجه صحيحة تكون أسمى و أعلى من كل شيء .

" الغنى أحيانا يمكنه أن يصل إلى حكمة الذهب ، و الفقير غالبا ما يصل إلى حكمة التراب " [5] ، فالغنى مادي بطبعه لا يعي حقيقة الوجود فكل ما يهمه لامع كالذهب غير أن الإنسان الفقير بعدما جرب مرارة العيش و قسوة لحياة ، يضع نصب عينيه دائما الموت ، و معظم الفقراء نجدهم يتصفون بالقناعة و الرضا بقضاء الله و قدره خيره و شره .

---

[1]-الإنترنت ، http ://mawdoo3.com

[2]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 25 .

[3]-ماجد طه شيحة رواية در ب الأربعين ، ص42

[4]- المرجع السابق ،ص8

[5]- المرجع السابق ص 88 .

" الجوع طبق من أطباق الحياة المملوءة ، فأما الشبع طبق فارغ " [1] ، وهذا يعني أن الجوع هو طبق الحياة المملوءة بحقيقة الحياة بمرها و حلوها ، وبشرها و بخيرها ، فالإنسان العاقل ، الراشد الحكيم هو الذي يعي حقيقتها أ أما الشبع أو الرفاهية أو العيش الرغيد لمن لا يستوعب حقيقته ، فهو اللاشيء و اللاحقيقة ، أو اللاوجود أصلا .

" الكلام يهون من مشقة السير"[2] ، ولأنّ بعض الكلام فيه حكمة و يؤدي بك إلى الغابة أو الهدف مباشرة مثله مثل السير ، الذي يوصلك إلى المبتغى .

" خلف قشور الناس أكوان أخرى " [3] ، أي الظاهر غير الباطن ، فحقيقة البشر تكمن في الداخل ، و لا يمكن أن نستكشفها إلا في المواقف .

و هناك حكم أخرى في هذه الرواية " الرغبات سوءات العقول " [4] ، والقصد منهأنّ الرغبة بطبيعتها شيء معنوي غريزي في الشخص ، يسعى لتحقيقها مهما كانت ، لذلك نتيجتها أحيانا أكثر سلبية .

" إن الحكايات بريد الكذب إلى القلب كما الأغاني يزيد النفاق " [5] ، و تقصد بذلك ان الحياة لا تتحقق عن طريق الحكايات و الأقاصيص ، و عالم الأحلام ، و الخيال ، و كذا الأغاني ذات الكلام الساحر المنمق ، فهي رسائل للكذب و الخداع ، فالمواقف هي أصل الحقيقة .

" في الزوايا خبايا" [6] ، أكيد لأن كل ما خفي دائما يكون أعظم .

" لا تتعجل الأمر و عش التجربة كاملة " [7] ، و هذا يعني أن الإنسان لا يتسرع في اتخاذ القرارات ، و أن يعيش التجربة كاملة ثم يحكم بإصدار أوامره .

" الكرامات في الدنيا مثل الكنوز ... و عرفوا أن القيمة ليس في اللون ، و لا في البريق و إنما في الندوة و الخامة " [1]، فالكرامة هي أغلى ما يمتلكه الإنسان، فالغنى غنى النفس ، فالمرء الحقيقي ليس في ظاهره و شكله و إنما في كرامته و شهامته .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 89 ..

[2]- المرجع السابق ، ص 262 .

[3]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 265 .

[4]- المرجع السابق ، ص 288 .

[5]- المرجع السابق ، ص 327 .

[6]- المرجع السابق ، ص 321 .

[7]- المرجع السابق ، ص 284 .

" لو لا حب الرجال للنساء لهدمت الدنيا و بنيت ، و لولا حب الرجال للنساء ، لفنى الرجال في الحروب " [2] ، أي أن المرأة لا تستطيع أن تكمل نصف دينها من دون رجل ، فهو يساعدها أو يعينها على دين الإسلام ، و العكس كذلك بالنسبة للرجل ، فوراء كل رجل عظيم امرأة .

" كل كلمة لها ثمن " [3] ، وتعني هذه الحكمة أن الكلمة مثل الرصاصة إذا خرجت لا ترجع، لذلك يجب على المرء ان يحرص على وزن كلامه .

" النسيان نعمة " [4] ، فالنسيان نعمة من نعم الله تعالى ، وذلك الإنسان لو بقي يتذكر لحظات الحزن و السوء التي مر بها ، لن يستطيع تكملة الحياة ، ومن عبارات النسيان رائحة الذكرى تلتصق دائما بالأشياء ، بكل الأماكن ، وبكل الأشخاص .

" و ما هي الغفلة ؟ أن تمر من الحياة متحسرا ، و أنت لم تمس أجمل ما فيها من أطباق " [5] ، أي أن الفرد يعيش من دون هدف أو غاية ، توصله إلى المبتغى ، أو عمل صالح يرضاه مثل عقوق الوالدين ، وهو ما قصده الكاتب في روايته بقوله " لماذا لا تسأل عن السبع و لا تسأل عن الغفلة ، و ما هي الغفلة ؟ أن تمر من الحياة متحسرا و إن لم تمس أجمل ما فيها من أطباق ، وما هي تلك الأطباق ؟ اغسل قدمي أمك و أبيك بالماء وضعه في طبق و اشرب ، أبكِ على خطاياك التافهة قبل أن تغتر بها وضع دموعك في طبق و اشرب ، جمع ندى الصباح قبل أن تشرق الشمس من أنفاس المجدين إلى أعمالهم وضعه في طبق و اشرب ، حتى الجوع طبق من أطباق الحياة المليئة ، أما الشبع فطبق فارغ ، لأنه عندما تقبل على الموت لن تفكر فيما فاتك و لكن فيما سيأتيك ، كل شخص يأخذ نصيبه[6]، وغاية الكاتب هي التوجيه والتخويف و الترهيب أو بالأحرى الدعوى إلى تغيير الأفكار السائدة في مجتمعنا العربي ، لأن هذه الدنيا فانية و ليست سوى ممر سبيل ، و لن يبقى سوى وجه الله تعالى ، لذلك يجب على الإنسان أن لا يكون غافلا لمثل هذه الأمور .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 254 .

[2]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 230.

[3]- المرجع السابق ، ص 242 .

[4]- المرجع السابق ، ص 145 .

[5]- المرجع السابق ، ص 89 .

[6]- المرجع السابق ،ص 89.

" أغنى الناس هم الصامتون ، و الذين يموتون مبكرا بسبب أمرا الكتمان " [1] ، و القصد من ذلك أن الصمت فيه جانب ايجابي و سلبي ، أي أنه أحيانا ينهى عن الفحشاء و المنكر و هذا جانب ايجابي ، و أحيانا يسبب أمراض نفسية و ذلك بسبب المبالغة في الصمت .

و إلى جانب هذه الأحكام ، هناك حكم أخرى استعان بها الكاتب في روايته " الظلام والتراب ، و العظام المتناثرة من أكفانها للموتى السابقين ، الموت حقيقة لكن سره غائب [2] ، و ذلك لأن الموت حتمية لا مفر منها ، فلكل بداية نهاية ، ولكن سرها عند الله سبحانه وتعالى .

" السفر يوهن خيوط ميلادك ، و الفقر يقطعها" [3] .

" الزمان مكان سائل ، والمكان زمان متجمد " [4] ، هذه المقولة ، هي مقولة ابن عربي ، وظفها الكاتب في روايته ، و التي معناها أن الإنسان لا يستسلم لغواية الزمان و المكان .

" يجب أن نخاف مما نحن فيه ، الآن لا نخاف مما كنا عليه " [5] ، فالإنسان لا يستطيع أن يغير ماضيه و لكن باستطاعته تغيير حاضره ن فالماضي وقت مضى لا يمكن الرجوع إليه .

" لكل مقام مقال"[6]، هذه المقولة مشهورة و موجزة دالة على أن الأسلوب ينبغي أن يختلف حسب متغيرات كثيرة ، منها من يكون موضوعا للحديث ، فالحديث عن الأشخاص حسب مواقفهم .

و قد وظف الكاتب هذه الحكم و المأثورات بشكل واسع ، ربما يعود سبب توظيفه لتلك الحكم إلى تجربته في الحياة و خبرته ، و أراد أن ينقلها إلى القارئ من أجل الفطنة والتنبيه، وهذه الحكم لا يفهمها إلا ذوي الخبرة و المعرفة .

كما نجد ماجد شيحة عادات و تقاليد ، و معتقدات أو طقوس ، حيث تعرف التقاليد بأنه جمع تقليد و هو مصطلح يعني الموروث الذي يورث عن الآباء و الأجداد أي تقليد الأجيال في هذا أو ذاك المجتمع لمن سبقهم من الأجيال في العقائد و السلوك و المظاهر ،

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 242.

[2]- المرجع السابق ،ص 86 .

[3]- المرجع السابق ، ص 33 .

[4]- المرجع السابق ، ص 09 ..

[5]- المرجع السابق ، ص 15 .

[6]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الاربعين ، ص 261 .

و هذه الرواية نجدها تزحم بالعادات و التقاليد و هي كالتالي : " فكل مرتدي الجلاليب غريبو الأطوار في الصعيد [1] ، و لباس الجلاليب هو لباس قديم يعبر عن الإنسان العربي القديم و الكاتب أراد أن يذكرنا بأصالتنا و عرقنا العربي .

" كنت أراها أحيانا تبيع سمكا في شوارع قريتنا في قفة من الخيش فوق رأسها ، يخرج المال من جيبه ، اليوم هو أول الشهر ، نصف مرتبه يعطيه لها ، نصف المال يدسه في جيبه ، تعطيه جوالا صغيرا من الملح يحمله على كتفه في حماس ، ، يدس إصبعه في فتق بجوال الخيش و يسحب منها فضا من الملح الخشن[2] .

والخيش هو نوع من النسيج القماشي السادة المستخدم من عادة للمهمات التي تتطلب تحمل و متانة مثل صناعة الخيم و الأشرعة و الحقائب و غيرها كما يستخدم من الرسامين كسطح لرسم اللوحات ، و الذي يشد عادة في إطار خشبي ، كما تصنع منه أكياس التي تخزن فيها بعض المحاصيل الزراعية و المواد الغذائية مثل الطحين و الشعير .

و يصنع الخيش حاليا من القطن و الكتان ، في حين أنه تاريخيا كان يصنع من القنب [3] .

" فعرج على إحدى خيام البدو الذين يقيمون في الغيطان ، أراض حصدت محاصيلها وتركها الفلاحون فترة ضيافة حتى أوان الزراعة القادمة ترعى فيها أغنام البدو ، وقبل أن يفتح أبي فمي ليناديني انبعث من بين الأغنام ... طيلة فترة تعامله مع البدو ارحل ، لم يندهش أبي من لهجتهم و لا من عاداتهم الغريبة و رائحة طبخهم النفاذة .... ، عشق أبي من حياة البدو ماشيتهم ، ر ائحة الصوف و الوبر و اللبن المختمر على الضروع ، و بالمال الذي جناه تجار القماش صار وشيكا مع أكثر فلاحي بلدتنا في رؤوس ماشيتهم " [4] ، و العرب في العصر القديم كانوا يعيشون حياة بدوية ، و من مظاهر بداوتهم كانوا يرعون الأغنام ، و يسكنون الغيظان و الخيم ، لذلك نجد الكاتب استفاد منها في روايته .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 13 .

[2]- المرجع السابق ، ص 112 .

[3]- ويكبيديا الموسوعة الحرة ، الإنترنت www.google.dz

[4]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين .

و هناك عادات أخرى " ... كانوا يقومون بإشعال النار في حطب يجمعونه و يضعون عليه جرادل من الصفيح مليئة بالرمل ، ويغرسون أيديهم في الرمل الساخن منفرجة الأصابع، في البداية بعض الحروق و اكتسى جلد يده لونا مغايرا و كأنه يرتدي قفازا ثم اشترى هاند جاربس ، و هو نوع من الأجهزة الر ياضية المبسطة في تقوية الأيدي ... عن رجل كبير في السن أخذ برأس عصا خشبية معوجة ... على رأسه شال أبيض ملفوف ... بعد الغذاء غسلنا أيدينا و عدنا لنجد صينية كبيرة مذهبة علبها من عددنا أكواب زجاجية مقلوبة و براد شاي نحاسي كبير يفوح من بوزة الطويل ، قام زياد على صب الشاي لنا بنفسه،خرج أمن جيبه الداخلي علبة معدنية مبططة منقوشة من الخارج لَهَ الَو ْن النحاس و دفتر أصفر من دفاتر ورقة البقر ...أخرج من جيب آخر كيسا به عشبة شبيهة بالنعناع[1]، و هذا يعني أن من مظاهر البداوة و أيضا لباس القشبية ، و الشال المعروف بالعمامة ، وهو يعبر عن الإنسان العربي الأصيل ، كذلك كانوا يستعملون في حياتهم اليومية الأكواب الخزفية ، و يشعلون النار على الحطب ، بعكس الوقت الحالي ، كذلك قوله " ... و إن دارو هي القرية الأمثل لغرضي ، قرية كل بيوتها من الطين ، ولا يتاجر أهلها إلا في الجمال و الغنم و ألبان الإبل ، وتصب فيها كل قوافل الجمال تأتي من السودان " [2] ، وكلمة الطين تدل على البيوت المبنية بالطّوب ، حيث يعتبر الطين و البيوت القديمة من التراث المصري القديم ،لأن المصريون القدامى بنو منازلهم بالطين .

"... جلب الدقيق و الزيت و الشكلي إلى أن يقول ... خبز شعير مطحون أنضجته حرارة الشمس دفنا في الرمل و طحن بين الصخور " [3] .

" ... و كأنها لعبة من لعب البازل ، ترص فيها أمي حضور أبي في فضاءات البيت وفضاء الوقت [4] ، ولعبة البازل مقسمة إلى عدة قطع و تلعب عن طريق نثر القطع ، وتجمع مرة أخرى في أماكنها الموجودة على قطعة الكارتون ، وكلما كانت عدد القطع المقسمة في البازل كبيرة أو صغيرة ، زادت صعوبتها .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 165 – 166 .

[2]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 29 .

[3]- المرجع السابق ، ص 32-40 .

[4]- المرجع السابق ،ص 57 .

" ... جبن صفر لم أذق مثله في حياتي ، و زيت زيتون و تين جاف و تمر و بهارات [1] ، والتين شجرة مباركة ، يتوفر على مدار السنة ، حيث يمكن الاحتفاظ به لمدة أطول و من عادات العرب أن يأخذوا التين و الزيتون في رحلاتهم ، لأنه يحتوي على فوائد صحية ، وقد ذكر التين و الزيتون في القرآن الكريم ، لقوله تعالى **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2)** سورة التين، الآية 2 .

و قوله أيضا " ... و في لعبة الدومينوا و شفطة عالية من زبون متعجل يحسوا مشروبه ... [2] ، و الدومينوا لعبة من اللعب القديمة التي كانت متواجدة في جميع الحضارات ، و هي من القطع على شكل مستطيل عددها 28 ، و كل قطعة مقسمة إلى قطعتين بواسطة خط في المنتصف ، وكل جزء فيه مجموعة من النقاط .

" تدور في رأسي الحكايات كما تدور الرحى بدون قمح فتقطع ما عشت عليه طيلة حياتي مقتنعا به [3] ... " ، و الرحى من المعالم التقليدية و الآثار العريقة للحضارة العربية ، فالرحى حجر يستخدم لطحن الحبوب ، ويعمل يدويا ، وهو عبارة عن حجرتين دائرتي الشكل حيث يتم وضع الحجرة الأولى على الثانية بشكل متوازن ، بواسطة عمود في وسط الحجرتين ، و يبدأ الرحى باليد بواسطة تحريك هذا العمود .

" مررنا على أحد المحال و استرينا راديو ترانز و كابا و من محل آخر عبأنا شنطة الكتف الفارغة الخاصة بأكياس السكر و عبوات الشاي ، وفي محل آخر يفوح برائحة الأصباغ ، قام الشيخ خليفة بشراء قطعتين من القماش الأبيض الناصع [4] وهذه كلها تندرج ضمن عادات و تقاليد المجتمع العربي .

" كان أبي يعلم أن الوسم (الكي بالنار) أحد طرق العلاج ، و لكنها أيضا طريقة لتمييز جمال كل قبيلة عن الأخرى... الأوسام هي بطاقة تعريف للجمال بطاقات انتماء[5] وتعتبر طريقة الكي بالنار ، من العادات المعروفة و الشائعة منذ القدم ، و هذه الطريقة تستخدم للتمييز بين الحيوانات و الأغنام ، و الأحصنة .

---

[1]- المرجع السابق ، ص 68 .

[2]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 131 .

[3]- المرجع السابق ، ص 223 .

[4]- المرجع السابق ، ص 57 .

[5]-المرجع السابق،58

" و قبل أن أنام يحكي لنا بلغة التي لا تزال تحبوا ، حكاية مشوقة ، و يبدأها بجملته المحببة ، كان يا مكان في سالف العصر و الأوان ، وما يحلى الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة و السلام " [1] ، فمن المعروف أن بداية الحكي التي اعتاد الناس فيها هي بديات معروفة و مشوقة ، منها كان يا مكان في سالف العصر و الأوان ، و كان يا مكان في قديم الزمان ... الخ ، و بداية حكي القصة هي التي تشد انتباه السامع .

" في تلك الليلة نمنا مبكرين بعد أن أشعلت بعضا من بخور جواره ، متعمدا تركت الرائحة تخللني [2]... ، و البخور له علاقة وطيدة بالمجتمع العربي ، فهو من العادات و التقاليد الموروثة عن الأجداد و السلف السابقة .

" ... أشعل رجال القافلة السودانيون نيران السمر ، وجلسوا حولها ، فشعر بالبرد والرغبة في البكاء و داء الخلق أن يحنن الخلق عليه [3] ، و هذا يعني أن العرب كانوا يشعلون نيران السمر للسهر ، و جلب التائهين في الصحراء ، فنيران السمر كانت بمثابة المنارة للتائهين .

" الخبير مسئول عن ترتيب طقوس البداية الخاصة للرحلة ، واستعداداتها لنحر الذبائح قبل التحرك [4]، فطقوس الرحلات يقومون فيها بالذبح ، وذلك من اجل البركة و التفاؤل و الدعوة إلى الأمن و السلام ،وهذه العادات والتقاليد متوارثة عن أجدادنا، وانتشرت في ثقافتنا ، لذلك نجد الكاتب أحسن استغلالها .

كذلك قوله " .... اعتاد أبي أن يسميني البنت الخامسة لشدة التصاقي بأمي ، وعلى الرغم من أن علاقتي به لم تكن تشبه علاقتي بها، إلا أني عرفت الكثير عن وجهه المضيء الموجود من الجهة البعيدة من حياتنا [5]...، و المقصود من ذلك أن الابن يتبع أباه أما البنت فهي عكس الابن ، بحيث تكون شديدة الالتصاق بالأم لذلك نجد مثلا شائعا ، ومتداولا في تراثنا العربي العريق ، اقلب البرمة على فمها تميل الطفلة لامها .

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 17 .

[2]- المرجع السابق ، ص .17 .

[3]- المرجع السابق ، ص 37 .

[4]- المرجع السابق ، ص 32 .

[5]- المرجع السابق ، ص 68 .

" ... حاملا قلتين من الفخار يسقى العطشى من أصحاب الفرس والمشترين ، يناوب على ملئها من مسجد قريب ، لا يطلب أجرا [1]... " .

و القلة هي إناء أشبه بالزجاجة غير أنها مصنوعة من الفخار ، يرجع تاريخ صناعتها إلى العصر الفرعوني بمصر ، ولا تزال طبقة عريضة من الفلاحين و أهل الصعيد يعملون على صناعة القلل ، حيث تعتبر القلة من أقدم العادات و الطبائع المصرية ، حيث اعتاد المصريون على شرب المياه منها ، و خاصة في الصيف ، و بالأخص في القرى و المدن الصغيرة .

ويعود الغرض من توظيف الكاتب هذه العادات و التقاليد ، بأن ينبههم و يذكر بالتراث العربي العريق ، و هذا يدل على أصالته العربية .

أما بالنسبة إلى المعتقدات و الطقوس ، فهي تعني أفكار تنشأ لدى الفرد نتيجة خبرة محددة ، وهذه الأفكار تحدد لنا صواب الشيء من خطإه من وجهة النظر الخاصة ففي نموذج التأثير التبادلي ، و الذي يقول أن الإنسان يتكون من ثلاث مركبات أو حالات ، مثل الأفكار ، السلوك ، المشاعر و الأحاسيس ، وهذه المعتقدات توضع في مركب الأفكار ، علما بان لكل معتقد فكرة و ليست كل فكرة معتقد، فمثلا لو رأى الإنسان أو سمع أو أحس ، موقف ، ثم تأثر بسببه ، فسيعتقد اعتقادا خاص بهذا الموقف ، ثم يضع هذا المعتقد في مكان مخصص عقلي ، وسيبقى هذا المعتقد راسخا ما لم يأتي موقف آخر قوي و يغيره ، كما أن المعتقد أو المعتقدات هو إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان عن تصديق فكر ، أو رأي ، أو تأويل ، أو مذهب جزافا ، والعقل غريب عن تكوين المعتقد ، و لا يأخذ تبرير المعتقد إلا بعد أن يتم تكوينه ، فالمعتقد هو من عمل الإيمان ، ومتى استعان المرء في تحقيق صحة المعتقد بالتأمل و التجربة لا يضل المعتقد معتقدا بل يصبح معرفة[2].

صحة المعتقدات الفكرية وظفها الكاتب في روايته بقوله " أهل الشمال يعتبرون المطر علامة موت أو ولادة ولي من أولياء الله ، عبد الرحيم الطائي ، أحمد الشرقاوي ، الجرجاوي ربما تعتمد الولاية على التقشف و التماهي مع حياة الصخور و الرمال ، كنت أحتاج المطر

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ،ص 81 .

[2]- غوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعتر ، الآراء و المعتقدات ، جميع الحقوق محفوظة للناشر ، مدنية نصر 11867 ، القاهرة ، ص 18 .

علامة أنني سأجد أبي ، أو ربما ليخفف شعوري بالسقوط و يجدد خلاياي و يجعلني أكثر جرأة في اتخاذ القرارات التي تتعلق بمصيري [1] ... " .

" هل تعرفون كيف يدبغون الجلود ، كيف يصنعون الزبيب ، كيف يصنعون التمر ، إنها الشمس ، الشمس بالنسبة لي هي كابوس النهار ، الذي لا احتاج لأن أرقد و أنام لأحلم به ، لا عجب أن الشمس عبدت من الفراعين الأشداء ، فالإله يجب أن يمتلك النار ، قبل أن يمتلك النعيم، الشمس تحرق و تعذب ، وتطهر الرجال ، و كان عم يحيى من الفراعنة الأوائل ما عبد الشمس لأنه كرهها ، كان يعبد الليل و القمر ، ولكن للأسف فالفراعين ، ما كانوا يعبدون بالحب [2] ... " ، وهذا يعني أنهم كانت لهم معتقدات راسخة في أذهانهم ويؤمنون بها ، فيعتبرونها علامة من العلامات مثل المطر ، علامة على موت ولي أو ما شابه ذلك ، والكاتب وظف هذه المعتقدات ، ليكشف لنا بعض مفاهيمهم و أفكارهم .

و هناك معتقدات فكرية أخرى وظفها الكاتب " الناس لا يموتون بموت أجسادهم خاصة الصالحين منهم [3] .

" يشعل النار للإنارة و الدفء ، ويصنعون ضجيجا ليطردوا لصوص السمك ، و هذا كان كافيا ليطردوا الجن الأزرق [4]... .

" و من ينظر غلى دواخل قبور الموتى و يحاول أن يرى " منكر و نكير" ، فيستقبض الله بصره و يصبح أعمى [5] ... .

" منذ علقت تلك الصور ، توقف عن زيارتي ، يقول إنها تمنع الملائكة من الدخول[6]...، كما وظف الكاتب عناصر شعبية أخرى أمثال الأغنية الشعبية ، النكتة ، المثل، حيث يعد هذا الأخير من أرز الفنون الشائعة و المتناولة أو المتداولة بين الناس ، فهو يلخص تجربة عاشها الفرد ، لذلك نجد ماجد طه شيحة وظف المثل الشعبي ، في قوله " طول و شنة ، و عيون خضرا ، و عود فرنساوي[7] " ، و سبب قوله هذا المثل في الرواية

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 97 .

[2]- المرجع السابق ، ص 173 .

[3]- المرجع السابق ، ص 46 .

[4]- ماجد طه شيحة رواية درب الأربعين ، ص 174 .

[5]- المرجع السابق ، ص 21.

[6]- المرجع السابق ، ص 141 .

[7]- المرجع السابق ، ص 151 ..

، و ذلك لأن خليفة كان يرغب في الزواج ، فأراد أبوه أن يختار له بنتا ،إلا أن والدة خليفة رفضت ، و اختارت له بنتا أخرى ، فقالت له هذا المثل ، حيث يعتبر هذا المثل شائعا كثيرا في مجتمعنا السائد ، و يقال عند طلب البنت من بيت زوجها ، فيبدؤون بوصفها بالجمال و البهاء لكي يتقدم لها الخطيب لخطبتها ، و هناك مثل آخر في هذا الصدد ، إلا أنه عكس المثل الذي قبله ،"عينها تندب فيها رصاصة " [1] ، ويعني هذا المثل قساوة وسوء أخلاق المرأة، وربما يعود ذلك بسبب قلة حيائها ، فالحياء هو زينة المرأة و بهائها ، لقول الرسول عليه السلام (إذا ضاع الحياء ، فافعل ما شئت) . و يعود توظيف الكاتب لهذه الأمثال الشعبية إلى تشعبه بالثقافة الشعبية ، كما أراد أن يذكر و ينبه بأزهار التراث الشعبي الزاخرة بفنونها المتنوعة .

أما الأغنية الشعبية فتعتبر لسان الشعب عن همومه و أفراحه ، وغالبا ما تتغنى بقضايا الطبقة الكادحة و الفقيرة و العاملة ، وهي مرتبطة بالشعب البسيط ، لا بالغني،لقربها منهم ، و معالجتها لمواضيعهم ، إلا أن الكاتب وظف أغنية شعبية واحدة ، وذلك حسب مضامين الرواية ، " الجمل أبو قلة .... راح المحلة " [2] .

و بالنسبة إلى النكتة الشعبية ، فهي تعبر عن الامتناع و التسلية ، فالنكتة إنتاج من دافع نفسي ، حيث تقوم النفس الإنسانية الوجدانية غلى إخراجه لينفجر في الحياة الاجتماعية ، حيث يقول " كانت تقول إن زينب تأخذ الهواء الذي تنفسه أبي و تنفضه من التراب ، في الخارج ثم تعيده بحرص إلى مكانه " [3] .

" صاحوا مندهشين ، ولماذا نبحث هناك أيها الأعرابي الأحمق ، قالوا انتم الحمقى، فالبحث هنا في الضوء أجدر بالعثور على الضالة من تلك البقعة المظلمة[4].

و بناءا على ما سبق يمكن القول أن الكاتب ماجد طه شيحة ذو خبرة واسعة بالثقافة الشعبية ، فاستفاد منها ، لذلك نجده وظف و استدل بمختلف العناصر الشعبية في روايته ،

---

[1]- - المرجع السابق ، ص .151.

[2]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 68 .

[3]- المرجع السابق ، ص 226 .

[4]- المرجع السابق ، ص 217 .

وهذا يعود طبعا إلى تعدد العلوم و الثقافات و كذا مدى براعته و تنوع أفكاره ، لأنه استطاع أن يوظف جميع أنواع التراث في روايته .

3-تجليات التراث التاريخي :

يعد لتراث التاريخي مصدرا أساسيا في الرواية العربية ، سواء من ناحية الأحداث أو الشخصيات أو الأماكن التاريخية ، حيث تعتبر المادة التاريخية أهم رافد للخطاب السردي المعاصر بما تمده من مواضيعها المختلفة ، و للتراث التاريخي دور كبير في حياة الشعوب، و الأحداث أو الشخصيات التاريخية ، ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي ، فهي صالحة لأن تتكرر من خلال مواقف و أحداث جديدة، وفي نفس الوقت قابلة لتحمل تفسيرات و تأويلات مختلفة ،لها دلالتها الشمولية الباقية و القابلة للتجدد.

فالرواية سرد قصصي قوامه الخيال الذي يعتبر ذاته نتاج موروث إنساني ذو طابع تاريخي عميق ، و لأن الرواية الحديثة تحاول التنكر للواقع التاريخي ، فإنها تبرز الجوانب الإنتقادي الذي يعمل فيه الروائي على استحضار التاريخ لمواجهة الواقع المعاش و انتقاده ، و الحديث من هنا ، يواجه الواقع الذي مضى بواقع الحاضر مغذيا حديثه انطلاقا من إعادة تكوين الواقع بمادة رمزية كتابية [1] .

و لأجل ذلك فغن التاريخ يخضع للرواية و تقنياتها الجديدة التي تسترجع كل ما يتناسب و حاضرها ، لاستغلاله في خدمة أغراضها الإيديولوجية و الفنية ، و هذا يعني أن هناك تداخل الرواية بالخطاب التاريخي يولد سردا جديدا ، يحمل معنى جديدا يتمتع بدفقه إبداعية جريئة يتم على مستواها انتقاء مادة التاريخ القابلة لاحتواء معطيات الحاضر ، فالإشارات التاريخية و المدلولات و الرموز تستخدمها الكتابة الجديدة مرتكزة على بناء الأحداث و الوقائع، و رسم الشخصيات ضمن أطر زمانية خاصة تتراوح بين التاريخي و الواقعي حينا و بين الفني و الخيالي أحيانا أخرى [2] .

---

[1]-منى نصر الدين ، توظيف التراث في رواية " رمل الماية " لوسيني الأعرج ، مذكرة لنيل شهادة الماستر 2012 – 2013 ، ص 30 .

[2]- المرجع السابق، ص30

و نجد الروائي " ماجد طه شيحة " استخدم في روايته الكثير من الأماكن التاريخية نذكر منها (الأندلس ، مراكش ، دولة الموحدين، دولة المرابطين .... الخ) ، حيث وظف الكاتب بلد الأندلس ، التي تعتبر مكان تاريخي ، فتحها طارق بن زياد في قوله " .... سافرت بعد سنة واحدة من زواجي إلى وجهتي ، إلى مراكش متذكرا وجهتي بين صخب الذكريات القريبة المتلاحقة ، كنت متوجها إلى الأندلس ثم إلى الإسكندرية ، كان ينبغي أن أكون مبحرا على إحدى السفن من ميناء مرية أو ماشيا على رمل الشاطئ الذي مشى عليه طارق بن زياد و جيل الفاتحين الأوائل ، و جميع آبائي الذين يسميهم العرب باسم البربر ... إلى مراكش أربع عشر و خمسمائة من 514 هجرة النبي العدنان [1] ... " .

فالأندلس هنا تحمل في طياتها المقاومة و التحدي و الرفض للواقع الفاسد و السعي لتغييره و استبداله بواقع أفضل و أحسن ، فالكاتب وظف هذا المكان التاريخي ليبين لنا الحروب التي مروا بها ، و كذا الظلم و الجور و الطغيان ، الذي سادني في ذلك الوقت ، إلا أنهم خرجوا منتصرين ، و تعد الأندلس رمز من رموز القوة و الجهاد و التضحية .

إلى جانب الأندلس نجد (ماجد طه) شيحة وظف أماكن تاريخية أخرى ، دولة الموحدين ، و دولة المرابطين ، في قوله : " ... و في رحلتي إليها كانت القبائل و القوافل العائدة التي تمر بها تتحدث عن أمر بن تومرت هذا الفقيه الزاهد الذي أوقع أخت السلطان من فوق بغلتها في السوق ، عندما وجدها سافرة ، و أن الفحش في شوارع مراكش بلغ مبلغا لا يطاق بعد أن كانت منارة المرابطين و قادة الأندلس الذين يستنجدون بهم في حروبهم ضد النصارى [2] ... " .

" ... أحد رفاق القافلة التي صحبتها في رحلتي غلى مراكش ، فنصحني بالعودة إلى قريتي الصغيرة ، لن الوقت وقت فتنة كما قال ، رفيق خيمتي في معسكر الموحدين ، حتى ابن تومرت قائد الموحدين رغم هيبتي منه [3] .. " ، و الكاتب وظف هذه الأماكن التاريخية ليبين لنا اختلاط العقيدة عندهم ، كما فهمها السلفيين و كما فهمها المتصوفة .

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 340 – 341 .

[2]- المرجع السابق ، ص 341 .

[3]- المرجع السابق ، ص 333.

بالإضافة إلى الأماكن التاريخية التي وظفها ماجد شيحة ، استطاع استحضار شخصيات تاريخية كثيرة من بينها (شخصية ابن تومرت ، عبد المؤمن بن علي ، طارق بن زياد ... الخ) .

وظف الكاتب شخصية ابن تومرت في قوله " ... ابن تومرت الفقيه الزاهد الذي أوقع أخت السلطان من فوق بغلتها عندما وجدها سافرة ... غلى أن يقول صدقني دولة المرابطين مهلهلة الآن و لن تدوم طويلا ، إن لم يسقطها الإمام بن تومرت بدعوته فستسقط وحدها ، كيف ؟ و جيوشها في الأندلس تحارب النصارى ، و تحالفها مع قادة الأندلس المسلمين ، هناك بعرض البحر الكبير لم تكدره دلاء الوقيعة من ملوك أوروبا ن أتظن أنهم سيتركون دولة المرابطين تسقط بسهولة و هم يحاربون معهم النصارى ؟ ، كل هذه الأباطيل لن تثبت أمام دعوة الإمام بن تومرت[1].

و كذلك قوله " ... و كان ابن تومرت خلف كل معركة ننهزم فيها بإرسال رجلا يطوف بين الخيام و يصيح في الناس أن النصر قد تأخر بذنوبكم ، فلا تحاربوا أنفسكم بالمعاصي حتى كان يوم البحيرة ، يوم المقتلة العظمى ... في ذلك اليوم انكسرنا كما لم ننكسر من قبل هرب الجنود عندما تأكدوا من هزيمة ساحقة آتية و ثبت طلب العلم في ساحة المعركة رأيت الجنود و رعاع مراكش يصعدون على أكتافهم و يستبيحون أعناقهم بمداهم التلمة ، ما تركوا شحنها لكسل بل لهواننا عليهم ، فباءوا بإثمين ، إثم قتل المسلم و إثم عدم إحسان القتلة ، ولكن هل كلنا مسلمين وقت قتالنا لهم ؟ و هل كان الإسلام مع المرابطين أم كان كما قال لي مصدق ذات مرة قبل أن يصبح قتيل البئر المقدسة كالسحابة التي تضلنا جميعا ، غطاها غبار المعركة ثم ظهرت بعد زوالها فعدنا مسلمين كما كنا ... لم يكن يعلم عني سوى إني مقرئ ضعيف البنية ، ولكن بن تومرت عرف قيمتي و هذا ما جعلني ملازما له رغم تكذيبي له و كراهيتي له ، لكنه كان يدخرني لأمر لا أعلمه [2] ... .

و لا يعتبر ابن تومرت شخصية دينية فقط ، ولكنه شخصية سياسية في نفس الوقت ، فقد تمكن من إسقاط دولة كبرى هي دولة المرابطين و إقامة دولة أكبر هي دولة الموحدين ، وهذا الرجل كان متقشفا ، و انتشر صيت ذالك الرجل في مراكش و أصبح حديثه على كل لسان ، و هنا نسمع أنه هاجم ما كان يسميه بتجسيم المرابطين ، و التجسيم معناه إعطاء

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 341 – 350 .

[2]- المرجع السابق ، ص 369 – 370 .

صورة لله تعالى مادية و ملموسة .[1]

وهذا الفقيه " محمد بن تومرت الهرغي الذي ولد سنة (485 هـ ، 1092 م) على وجه التقريب في بيت يغلب عليه طلب العلم ، واتجه محمد بن تومرت إلى الدراسة و العلم من بداية الأمر، فدرس في بلاده ، ثم في مراكش وفي حوالي سنة (506هـ - 1112م) ، شرع رحلته في دراسة طويلة إلى المشرق ، ثم إلى الإسكندرية في مصر ، و درس على يد بعض شيوخها ثم عاد إلى المغرب ، فدرس في القيروان ، و بجاية ، و تحصل على جانب لا بأس به من العلم و الفقه [2] .

أما شخصية " عبد المؤمن بن علي " فهو شخصية تاريخية في قوله " ... عدت سريعا لألحق بالإمام و بعبد المؤمن بن علي قبل أن يبدآ هروبهما بمن تبقى من جنود قبيلة المصامدة ، وصلت المعسكر مع أول النهار ، فرأيت الجيش المنهزم مجتمعة حول بن تومرت كما يجتمع الطير العطش حول نبع ماء في صحراء ... انطلق الرجال لتنفيذ رغبة المهدي ، رآني بن تومرت و لكنه لم يكلمني و لم ينظر لي ، هل نسي أنه أرسلني ليلة أمس لدفنه ، كان أمرا متوقعا أن لا يعثر الجنود الذين أرسلهم عبد المؤمن بن علي على جسد الونشريسي بين القتلى ... ما أشد وطأة الحروب الطويلة تختفي وجوه و تظهر وجوه ، فلا تعود تسال عن الأحياء ، خشية أن يكونوا موتى ، و لا تعود تستوثق من وجو ه الأحياء خشية أن يكونوا أشباح قتلى معذبين تطوف في المعسكر ، قتل الونشريسي ، وتولى عبد المؤمن بن علي على من ؟ ضعاف القلوب ، حتى في أرض فاس التي لم ينهزم فيها قط صارت الهزيمة فيها من المسلمات [3] ... " .

و عبد المؤمن بن علي الملقب بالكومي ، ينتسب إلى قبيلة كومية ، وهي ليست من قبائل المصامدة الكبرى ، بل هي فرع زناتي ، في الغالب كان يسكن غرب تلمسان ، وقد ولد في قرية هناك تسمىتاجرا) ، ولقد لقي محمد بن تومرت أثناء عودته هذا الرجل من المشرق ، وقد تعلق ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي من أول لقائه به ، و رأى فيه

---

[1]- يوسف علي البدوي ، عصر الدويلات الاسلامية ، (في المغرب و المشرق من الميلاد غلى السقوط) ،2010 م ، دن ، ص 163-165 ، بتصرف .

[2]- يوسف علي البدوي ، عصر الدويلات الإسلامية ، ص 102 – 163 .

[3]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 371 – 372 .

خليفته ، لان ابن تومرت لم ينجب أولادا ، فأراد أن يكون خليفته ، و عبد المؤمن بن علي ، كانت له المواهب اللازمة ، فعلمه و دربه، كيف ينهض بعبء الخلافة ، وينظم الدولة ، ويسيرها إلى الإمام ،و في أواخر أيام بن تومرت حاول الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي أن يستولوا على مراكش ، لكنهم ارتدوا عنها بخسارة كبيرة ، و يقال أن اسم الموحدين أطلقه ابن تومرت على جماعته أثناء الاستعداد لهذه الغارة ، إذ كان يحسب أنهم سيستطيعون دخول مراكش ، و القضاء على المرابطين بسهولة ، فسماهم الموحدون، و سمي عبد المؤمن بأمير المؤمنين [1].

و الكاتب وظف هذه الشخصيات ليبين لنا آثار و عظمة هذه الشخصيات التي كانت لها دور كبير في صنع التاريخ .

وبالأخص شخصية " بن تومرت " الذي يعتبر شخصية غريبة و معقدة ،وكلما قرأنا سيرة حياته ، وجدناها أكثر تعقيدا و غموضا [2] .

كما استطاع الكاتب توظيف شخصية طارق بن زياد ، الذي يعد بطلا تاريخيا،فاتح الأندلس ، القائد إلى الانتصارات ، وهذا ما نجده حاليا و واضحا في الرواية " كنت متوجها إلى الأندلس ثم إلى الإسكندرية ، كان ينبغي أن أكون مبحرا على إحدى السفن من ميناء مرية أو ماشيا على رمل الشاطئ الذي مشى عليه طارق بن زياد و جيل الفاتحين الأوائل وجميع آبائي الذين يسميهم العرب البربر ، كان هذا هو الختام الطبيعي لحياتي الأولى فما الذي جاء بي إلى الحفرة [3] ..." .

و قد كان توظيف الكاتب لهذه الشخصية التاريخية موقفا إبداعيا معبرا عن مدى حزنه و تأسفه ، لما يحدث لهذه الأمة من ضياع و خراب و دمار ، وما أصابها من أمراض الخيانة و الظلم و العدوان و الاستضعاف .

و يعد طارق بن زياد ، قائد عسكري مسلم ،قاد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية، خلال الفترة الممتدة بين عامي 711 و 718 ، بأمر من موسى بن نصير و إلى إفريقية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، ينسب إلى طارق بن زياد ، إنهاء حكم القوط الغربيين لإسبانيا ، وطارق بن زياد كغيره من الشخصيات التي أوردها الكاتب في روايته .

---

[1]- يوسف علي البدوي ، عصر الدويلات الإسلامية ، ص 171 .

[2]- المرجع السابق، ص 154 .

[3]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 341 .

(عبد المؤمن بن علي ، ابن تومرت ...) ، وهذه كلها شخصيات تاريخية ضحت من اجل إعلاء كلمة الحق الذي تراجع من ورائهم .

و عليه يعتبر هذا الروائي مبدعا في توظيفه للتراث التاريخي ، و ذلك طبعا من خلال استدعاءه مختلف الشخصيات الكبرى ، و كذا إحياؤه الأماكن التاريخية ، و التي تتعد خالدة عبر التاريخ ، يتناولها جيل بعد جيل عبر العصور .

4-تجليات التراث الأسطوري :

لقد وظف الكاتب ماجد طه شيحة الأسطورة في روايته " درب الأربعين " و ذلك من خلال توظيف أعمال للجن ،و الأعاجيب ، وكذا الساحر المغربي و أعماله الخيالية و ذلك في قوله " طيلة الليل امتلأت أحاديث الرجال بحكايات عن الصراع بين الجن و السحرة والأعاجيب التي تحدث بينهما ،و عن الزئبق الذي يعتبره إكسير الحياة للجن ، والذي وضعه الفراعنة في تلك المقابر لتسخير الجن للبقاء ، والحراسة ... كان صاحب المزرعة ، قد عاد وابنه الصغير إلى بيتهما لأنهما في صباح اليوم التالي سيسافران إلى القاهرة ، لاصطحاب الساحر ، بقي ابنه الكبير ، الذي لم يدخر جهدا في سبيل إرضاءنا بالحبوب ، ولكن العيب لايكمن في الكيف ، و لا بأس في يأس نفوسنا ، و لا المجهول القدم بل كان في الهواء رائحة الهواء كانت مثل خليط من ليل عضتها من قبل .

و الجن خلق كثيف العدد إلى درجة لا يتخيلها عقل بشر ، فإن كان عدد سكان الأرض من بني آدم خمسة مليارات ، فإن عدد سكانها من الجن يفوق هذا العدد ، والجن يعيش مثل الإنسان ، ففسقوا و سفكوا الدماء و لحلّوا الأعراض و أسرفوا و أفسدوا في الأرض فطردهم الله إلى الجبال و البحار و الوديان ليطهر الله إلى الجبال و البحار و الوديان لطهر الله لخلقه القادم ، ومن الممكن معاشرة إنسان للجن ، ومعاشرة الجن للإنسان علما بقول الرسول صلى الله عليه وسلم " من عاشر جنيا فليس مني " [1]

و الجن مخلوق أصم الجسد كتلة واحدة لكن ليس لهم معدة أو أحشاء مثل الإنسان ، والجن مخلوق من النار فله ألوان كثيرة و هي التي موجودة في لهب النار ترى اللون الأصفر ، والأحمر و الأزرق و الأخضر و الأسود ، فإذا نظرت إلى لهب النار ترى هذه الألوان في أجزاء النار ، فلهذا اختلف ألوان الجن مثل اختلاف ألوان الإنسان ، أما بالنسبة

[1]- ماجد طه شيحة رواية درب الاربعين ، ص 183-184 .

إلى غذائهم ، فهو يختلف حسب صنفهم ، فالشياطين و الكفرة يتغذون على روث البهائم والدم و الأبخرة ذات الرائحة الكريهة ، منهم البخور ذوي الرائحة الكريهة [1].

" نفى البيه ذلك ، و لكن الساحر لم تهتز ثقته للحظة ، أن ما قتل هذا السمك هو الماء الذي خرج من الحفرة ، قال عم يحيى انه من الغريب أن يكون الحال مطابقا لكلمات الساحر المغربي ، فالأحوال التي أضيرت كانت هي الواقعة على جانبي القناة لتي قاموا بشقها لتصريف الماء ، فصافح الساحر جميع الرجال عدا عم يحيى الذي لم يكن حاضرا، نظر في عيونهم ، ثم أبقى يد أصغر الشباب الثلاثة في يده طويلا ، حتى قال له : أنت ستذهب لإحضار السعف ... طلب الساحر رجلا آخر لم يحدده ليرسله إلى المدينة القربة لشراء بخور معينة كتبها له في ورقة ، و عندما وصل السعف كسف الساحر عورته أمام الرجال دون خجل ... ثم طلب منهم أن يغرسوا الثلاث سعفات حول الحفرةفي الماء ويقوموا بتشغيل طلمبة ماء واحدة فقط " [2] .

" ... في صباح اليوم الرابع ، استيقظ الجميع رغم التعب انطلقوا لكن أمام المقبرة كانت المفاجأة ، وجدوا كلبا راقدا هناك كلب أسود طويل السيقان ضامر البطن حاد النظرات، كشر عن أنيابه عندما رآهم ،قذفوه بالطوب ،صاح فيهم الساحر و هو يمنعهم ويقف حائلا بينهم وبين الحفرة ،لا تسقط نقطة دم واحدة على الباب ،و إلا ضاع الكنز للأبد [3]... .

و الكاتب استدل بهذه الأساطير ، ليكشف لنا الأعمال الخيالية و الخارقة الموجودة عندهم و هناك أيضا أساطير أخرى ، استعان بها الكاتب في روايته " أنهى كلامه مع الساحر المغربي ، و أمرنا أن خيمة على رأس الحفرة لإقامة الساحر ، قال إنه وعده بأنه سيطرد الكلب عن طريق مضايقته بالتعاويذ و السحر ...قام الرجال بغرس أربعة قوائم خشبية تصبوا عليها خيمة مربعة من قماش اشتريناه مع بخور آخر ، أكثر من المرة الأولى بخور واسع و شمع ، ظل الساحر هناك حتى شروق الشمس ، ليس عه إلا زجاجة الماء ينطلق الدخان بكثافة من باب الخيمة رغم إغلاقه بالكامل ، عند الظهيرة ، خرج الساحر يتصبب عرقا و طلب طعاما ، كانت رائحته كريهة لدرجة أننا وضعنا له الطعام و ابتعدنا

---

[1] الإنترنت / vague.blogspot.com

[2] - ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 186 – 187 .

[3] - المرجع السابق ، ص 188 .

عنه ، أكل بلهفة و سرعة فائقين .... ثم بدأ العواء بعد أن عاد مباشرة ، ظل الكلب يعوي طوال الليل عواء كلب عادي ، مرة كل ساعة أو ساعتين ، ثم بدأ العواء يتغير طوله والمدة بين كل مرة كل نصف ساعة يعوي الكلب عواءا غريبا ، لم يعد عواء كلب ، كانت صرخات تسبه صرخات البشر ، تنطلق حروفا واضحة في بداية الصرخة ثم تمتد صرخته طويلا بعد كل ذلك في حرف واحد ، كأنّ ها صيحة شخص يسقط في كابوس ، لم يسكت الكلب بعد أن خرج الساحر مع شروق الشمس [1] ... " .

" لا ... و لكن بردم الحفرة فوق الكلب كل مجهود الأيام السابقة سيضيع ، ثم ما أدرانا ما الذي يمكن أن يحدث لو ردمنا الحفرة فوق الكلب ، من يضمن لي أن لا يحدث ما حذرنا منه الساحر لو قتلنا الكلب ، ما أكل إذن ، سنبني سوارا حول الحفرة [2] ... " .

كما يقول الكاتب أيضا " ... ما الذي كان يريد الخواجة رؤيته في المقبرة ، قلت في سخرية ،لا اعرف ، ربما كان يريد أن يتفاهم مع الكلب على الخروج ، إنهم يتعلمون تلك اللغات عندهم ، ... إنهم يقرءونها يا عم يحيى ، لا احد في العالم يستطيع أن يتحدث كما كان الفر اعنة يتحدثون ، لغتهم ماتت ، الحروف هي ما تبقت ، ربما يريد أن يتحدث معه بالإشارة ، يكتب له في ورقة يرويها له ... لعل الخواجات يعلمون أكثر مما يعلم الساحر المغربي ، الجن يضرب منهم ، هل سمعت أن أحد الخواجات به مس ، أو أن الجن خطفه كما يحدث عندنا ، عندهم أطباق طائرة ، وكائنات من الفضاء [3] ... " .

" كان يتحدث بسرعة بالغة ، دون أن يعطيني فرصة للتساؤل ، نغادر بيوت ، نمشي تغادرنا الأضواء ، الأرض المدقوقة ، تحت قدمي تتحول إلى ارض رملية تزيغ فيها قدمي تستبدل ضوء الكهرباء حولنا ، بصورة النجوم فوقنا ، و على ذلك الضوء نلمح أشباحا أسطورية كأنها جلاء ، صخر تحرك أعناقنا و بينها يسعى رجال و يصيحون [4] ... " .

" ... ولأنّ ما تحت الأرض هو ما خرج إلينا ، خرج على شكل ساحر تعيس أسفل ذقنه و في موضع تفاحة آدم منه يندفع الدم ، فلا يستطيع أن يسده بكلتا يديه ، كلما فتح فمه ليستنجد بنا غلب الدم يده ، و انتشر بين أصابعه ، وخرج الصوت من بين شفتيه فحيحا

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية درب الأربعين ، ص 192 .

[2]- المرجع السابق ، ص 200 .

[3]- المرج السابق ، ص 210.

[4]- المرجع السابق ، ص 284.

مرعبا ... و كان الساحر كلما أفاق التاث ، و تخبط في أيديهم ، كأنه يطرد عنه هجوما ضاريا و يفلت منهم ، ويكاد أن يسقط فيضعوه على الأرض ، حتى يغشى عليه مرة أخرى ... هذا ما تبقى من الساحر ذيل برص يتلوى بعد أن هرب الساحر من جسد المغربي المسكين الذي ولد ليموت في مكان ابعد عن مولده بآلاف الأميال [1]" .

و بناءا على ما سبق ، يمكن القول ، أن الكاتب قد استطاع توظيف التراث الأسطوري ، حيث نرى أن الرواية تستمد من الأسطورة لأنها تحاول التعبير من الإنسان ، وربما يعود استحضار الكاتب للتراث الأسطوري لتمرده على الواقع و الدعوة لتغييره ، وكأنه يريد أن يخبرنا أن التراث لصيق بالإنسان ، و لا يمكن الاستغناء عنه ، فالتراث هو هوية المجتمع .

5-تجليات التراث الأدبي :

تعتبر الأمة العربية بطبيعتها ذات تراث أدبي أصيل ، سواء من ناحية الشعر أو النثر ، أي جميع حياتها الروحية و الوجدانية و العقلية و الاجتماعية ، وقد أشار الكاتب " ماجد طه شيحة " في بداية الرواية إلى الفيلسوف الشهير " غبن عربي " الذي يقول في حكمته " الزمان سائل ، و المكان زمان متجمد " [2] ، و كان يقصد بذلك رأ التلقي يحب عليه ألا يستسلم لغواية ذلك الدرب الأربعيني زمانيا و مكانيا للكاتب ، و هو يضع منهجيته الخاصة للرواية ، و أن يتأمل في الطابع الأهم للرواية القائم على إبراز سيطرة النوازع البشرية الخيرة و الشريرة على مقدارات شخصيات الرواية في المستوى السطحي من الرواية ، وأشار أيضا ماجد شيحة إلى ألف ليلة و ليلة ، " ...حكاية ، ألف ليلة وليلة يا جدعان ، سحرة و مشايخ و كلاب سوداء ، و كنز ، أنت تستحق جائزة "أبو لمعة " في الكذب يا عم يحيى [3] .

و تعتبر حكايات ألف ليلة وليلة من أقدم النصوص التي كتب لها الخلود عبر الأزمنة المتلاحقة فقد حظيت مكانة مرموقة في الأدب العالمي و أثرت في كثير من الأعمال الفنية في العصر الحديث سواء عند الإنسان العربي أو الأوروبي ، وهذا راجع لما تميزت به من سحر الكلمة و حشد الرمز الدلالي الفن الإبداعي ، فقد عكف المستشرفون على قراءتها ودراستها ، والتمهل من أسباب قوتها و إمكاناتها وجمال صورتها الفنية ، فكان نص الليالي

---

[1]- ماجد طه شيحة ، رواية در ب الأربعين ، ص 195.

[2]- المرجع السابق ،ص 07 .

[3]- المرجع السابق ، ص 202 .

معينا فنيا ، ومنهلا لا ينصب ، ارتوى منه المبدع العربي منذ القديم بعطاءات إبداعية لا تغنى ، و بذلك تجاوز هذا المبدع أسلوب المحاكاة و المباشرة ، فخضعت الأحداث في الروايات التي استمدت منها أسلوبها ونهلت بنيتها للمغامرات و الغرائب ،و العجائب والمصادفات و الإستطراء ، كما تأثرت الشخصيات بألف ليلة و ليلة ، فبدت إما خيرة أو شريرة لا يؤثر فيها زمن ولايته [1] .

و الكاتب وظف ألف ليلة و ليلة ، وذلك دلالتها و أهميتها في الأدب العربي ، لذلك نجد معظم الروائيين تأثروا بها بشكل كبير ، فقاموا بتوظيفها في رواياتهم و منهم ماجد طه شيحة .

بالإضافة نجد الكاتب استحضر في روايته شخصيات أدبية " ... سألت نفسي أية كرامات ينسبها أهل الجنوب لأوليائهم ليصيروا أولياء ، عبد الرحيم الطائي ، أحمد الشرقاوي، الجرجاوي ، ربما تعتمد الولاية على القشف و التماهي مع حياة الصخور و الرمال [2] .

تعتبر شخصية أحمد الشرقاوي من مواليد (1446-1927 م) ، ولد في مدينة مراكش وتوفي فيها ،و حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب و في الجامعة اليوسفية ، وكان شاعرا و أديبا و باحثا مغربيا ،انشغل بالتأليف و الفهرسة و التحقيق ، وربطته علاقات مع أدباء و شعراء عصره ،و جعل بيته منتدى أدبيا و ثقافيا ، أسهم في الحركة العلمية بمدينة مراكش ، ويعد إقبال من الشعراء المجيدين ، ترجمت قصائده و مقطوعاته لعدد من أحداث عصره ومناسباته الوطنية و الاجتماعية و الدينية و الإخوانية ، و تجلت في المدح و الرثاء و الوصف ، انتهج نهج القصيدة العربية التقليدية ، وحافظ على العروض الخليلي و القافية الموحدة ، واستخدم لغة سهلة تقترب من المباشر [3] .

أما الجرجاوي ، ولد في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، في قرية القرعان ، إحدى قرى مركز جرجا بمحافظة سوهاج حاليا ، في صعيد مصر في الثلث الأخير من التاسع عشر ، تعلم مبادئ القراء و الكتابة ن وحفظ القرآن الكريم في الكتاب ، قم تلقى أوليات العلوم الدينية على يد من علماء جرجا ، التي كانت تتمتع بشهرة واسعة من العلوم ، ثم رحل إلى القاهرة لاستكمال الدراسة و تحصيل العلم بالأزهر الشريف ، ويعد جرجاوي أول داعية

---

[1] - منى نصر الدين ، توظيف التراث في رواية " رمل الماية " لوسيني الأعرج ، ص 35 .

[2] - ماجد طه شيحة ، رواية در ب الأربعين ،ص 97 .

[3] - الإنترنت http-d//or.wikipedia or/wiki .

للإسلام في اليابان ، في العصر الحديث ، حيث أسس جمعية طوكيو للدعوة الإسلامية ، و أسلم على يده الكثير من اليابانيين ، و عقب عودته استأنف عمله بالصحافة ، فأسس جريدة الأزهر المعمور ، واستمر بالعمل حتى وافته المنية عام 1380 هـ - 1961 م [1] .

أما بالنسبة للطائي ولد سنة 1952م في العراق و فيها تلقى تعليمه الأساسي و الثانوي ، ثم التحق بجامعة الموصل و اختار دراسة علم الفيزياء ، و شرع في السنة الثانية من دراسته الجامعية بتأليف كتاب بعنوان " مدخل إلى النظرية النسبية الخاصة و العامة ، كما شارك الطائي في المؤتمر الأول للفيزياء و الرياضيات الذي انعقد في بغداد[2].

إذن يعود استدعاء الكاتب هذه الشخصيات الأدبية ، ليبين لنا مدى أهميتهم و قيمتهم في الأدب ، وعن الآثار التي خلفوها من فنون و إبداعات أدبية ، ومدى تأثره بهم لذلك ركز الكاتب على استحضارهم في الرواية .

---

[1]- الإنترنت http-d//or.wikipedia or/wiki .

[2]- الإنترنت http-d//or.wikipedia or/wiki .

نستنتج في الأخير أن رواية درب الأربعين لماجد طه شيحة ، رواية حافلة و زاخرة بالتراث وتجلياته ، ومن أهم النتائج التي تحصلنا عليها من هذا البحث هي :

- تعتبر رواية درب الأربعين رواية غنية و ثرية بالمادة العلمية و الثقافية .
- حاولت رواية درب الأربعين أن تمزج الواقع المعاش بالوجد الصوفي .
- يعد التراث هوية المجتمع فلا تراث من دون امة ، و العكس صحيح .
- التراث هو إنتاج فكري و حضاري و تاريخي .. الخ .
- اعتمدت رواية درب الاربعين على المنهج الفلسفي و النفسي ، و ذلك لكثرة الأسئلة و المراوغات دون إجابات .
- وظف الكاتب عناصر شعبية مهمة كالحكم و المأثورات ، و هذا يدل على النضج الفكري للكاتب .
- وظف الكاتب التراث التاريخي ، كالأماكن التاريخية ، مثل دولة الموحدين ، الأندلس.
- توظيف الروائي للتراث الديني ، من خلال استدعائه للشخصيات الدينية ، كيوسف عليه السلام ، و إسماعيل عليه السلام ، و أسماء دينية أخرى كمصدق ، مؤمن ، خليفة ، و هذا يدل على تحفظ الكاتب و تمتعه بالثقافة الدينية ، فاستفاد منها .
- شكل التراث الصوفي جانبا مهما ، و ذلك من خلال طرق الصوفية .
- استعان الكاتب بشخصيات أدبية ، كشخصية أحمد الشرقاوي ، الجرجاوي .

ماجد طه شيحة (حياته و أعماله) :

ماجد طه شيحة من مواليد 1978م ، مصري الأب و الأم، حاصل على بكالوريوس هندسة ميكانيكية ، من جامعة المنصورة ، خريج 2002 م ، واشتغل مهندس بأحد كبريات مصانع السكر بالشرق الأوسط وهي شركة الدلتا للسكر ، صدرت له موجوعة قصصية بعنوان " كل الحبال الرديئة " ، حصل منها على جائزة أمين العالم للقصة ،المركز الثقافي ، ورواية سلفي يكتب سرا و التي يبعث منها ثلاث طبعات في أشهر .

ملخص رواية " درب الأربعين " :

تعد رواية درب الأربعين رواية صوفية ، انتهجها الصوفية في حياتهم ، فالمتصوفون نظرتهم للدين عكسية ، لأنهم يقومون بتعذيب أنفسهم عن طريق الحضرة ، وذلك من أجل التقرب إلى الله عز و جل ، وهذه الرواية ترتكز على ثلاث شخصيات أساسية (مصدق ، خليفة ، مؤمن) ، و كذلك الأب ، وهؤلاء الأشخاص الثلاثة أبناء الأب قاموا بالبحث عن أبيهم ، وذلك لأن أباهم خرج ذات مساء و لم يعد ، من دون إخبار أبناءه ، فكلف خليفة و المؤمن أخوهم مصدق بالبحث عن أيبهم باعتباره الشخص الأنسب للبحث عنه .

و ذات ليلة من الليالي ترك مصدق ابنه نائما ، الذي كان دائما يروي له حكاياته مع الشيخ أبو القمصان المسمى بالشيخ خليفة ، فتركه نائما و سافر إلى مدن كثيرة و كان أول بحثه في الجنوب ، ثم أسيوط ، فالتقى بمدير بنك و أعطاه صورة تخص أبيه و أمره بأن يوزعها على جميع الموظفين ، وذلك للحصول على معلومات تخص أبيه ، و مصدق يحكي في هذه الرواية عن حكايات أبيه مع الجمال و الشيخ أبو القمصان ، وهذا الرجل يعتبر غريب الأطوار ، لأنه ينام في القبور ، وكان متعلقا كثيرا بالأب ، حيث كان يناديه من شباك النافذة ، إلا أن الأب يتجاهله ، و يروي مصدق أن أباه يحب الجمال كثيرا ، فسافر إلى إمبابة للبحث عن رجل سوداني لشراء من عنده الجمال ، إلا أن محمود العبد وجهه الى قرى الصعيد لان فيها جمال ارخص إمبابة أو بنها ، وذات مرة سافر الأب و اخذ معه ابنه خليفة في رحلته الأولى ، أي رحلة الجمال ، و علمه كيفية التعامل مع الجمال و مسايرتها ، وفي أمر عاجل قرر الأب السفر و كلف خليفة بحماية الجمال ، و بالأخص الجمل الأصفر ، لأنه كان عزيزا عليه كثيرا ، فقد أهداه له الشيخ أبو القمصان و أمره بالحفاظ عليه ، إلا أن الجمل مرض ، و قام الرجال بذبه ، و لما علم الأب بوفاته غضب كثيرا منه و حبس نفسه في غرفة و أبى التحدث مع أي شخص ، كما أن الأب كانت له حكاية مع الديك الأحمر الذي كان يأتي دائما أمام الحفر ، و يصيح قبل الفجر بساعتان ، وفي ذلك المكان كان الأب مخطوفا ، في الكشك ، و عم يحيى أراد مساعدته للخروج من ذلك المكان ، إلا أن البيه و جماعة لم يتركوه و ذلك من اجل حماية الكنز ، حيث قام عم يحيى خفية بتهريب الأب من ذلك الكشك ، فوعده الأب عند خروجه بإعطائه المال ، و اخبر عم يحيى مصدق بحالة ابيه و كيفية معاملة الشيخ أبو القمصان له ، فقد أراد أن يعلمه مما يعلم لأنه اعتبره وليا صالحا ، و بعد سفر مصدق إلى أسيوط التقى الشيخ خليفة (أبو القمصان) ،

واخبره بأنه لم يكن سوى مساعدا لأبيه ، و أن خليفة هو السبب في اختطاف أبيه ، إلا أن مصدق لم يصدقه ، فاخبره بكيفية التعامل مع أبيه ، لان خليفة أراد الاستيلاء على أملاك أبيك ، وانتهج منهج الصوفية و عاشرهم ، وبعد ذلك سافر مصدق إلى دْر َاوْ برفقه الشيخ خليفة ، فاستضافهما رجلا من دْر َاوْ كان يعرفه الشيخ خليفة ، فشرب معهما الشاي وساعدهما في السفر إلى السودان في قافلة الجمال ، وفي هذه القافلة يلتقي مصدق مع خبير فجرى نقاش بينهما ، فاخبره عن سبب مجيئه فاستهز أ به ، و شبهه بالأعرابي الأحمق إلا أن مصدق يصر أن أباه ليس شيخا بل رجل عادي ، فصدقه ذلك الخبير و أمره بتبليغ السلام لأبيه عند إيجاده ، و في نفس القافلة ، يلتقي مصدق بالدرويش الذي وصفه له مؤمن فأخبره عن حكايته و حكاية المقام و الكنز ، حيث أراد مصدق من هذا الدرويش أن يعرف مكان أبيه ، و أخبره ذلك الدرويش عن سبب التسمية بمؤمن و مصدق .

قائمة المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم .**

المصادر :

1. جمال الدين ابن مكرم الافريقي المصري ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان ، 2003.

2. ماجد طه شيحة ، رواية درب الاربعين ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، 2014 .

مراجع بالعربية:

1.بوجمعة بوبعيو، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ، جامعة باجي مختار ، منشورات المخبر الأدب العربي القديم و الحديث ، مطبعة المعارف ، عنابة ، ط 1 ، 2007 م .

2.جدعان فهمي نظرية التراث ، دار الشروق ، عمان ، ط 1 ، 1985 .

3.حسن حنفي ، التراث و التجديد و موقفنا من التراث القديم ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، الحمراء ، ط 4 ، 1412 هـ - 1992 م .

4.حسين نصار ، الشعر الشعبي العربي ، منشورات اقرأ ، بيروت ، ط1 ، 1980 .

5حلمي بدير ، أثر التراث الشعبي في الأدب الحديث ، دار المعار ف ، القاهرة ، 1986 .

6.رابح العوبي ، أنواع النثر الشعبي ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة ،1989.

7.سعيد الورقي ، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية،مصر ، ط1 ، 1997 .

8.سعيد سلام ، التناص التراثي ، الرواية الجزائرية أنموذجا ، عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط1 ، 2010 م .

9.سعيد شوقي ، محمد سليمان ، توظيف التراث في رواية نجيب محفوظ ، جامعة المنوفية ، كلية الآداب ، الطبعة الأولى ، 1981 – 2000 .

10. سعيد يقطين ، الرواية و التراث السردي ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 .

11. سعيد يقطين ، الكلام و الخبز ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 .

12. سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الحديثة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، مصر ، ط1 ، 1997 .

13. شوقي ضيف ، في التراث و الشعر ة اللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، د ط

14. طراد الكبيسي ، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة و الإبداع في الشعر العربي الحديث ، منشورات وزارة الثقافة و الفنون ، بغداد ، د ط .

15. عبد الحميد بورايوا ، الأدب الشعبي الجزائري ، دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر ، دار القصبة للنشر ، 2007 م .

16. عبد الرحيم محمد عبد الرحيم ، دراسات في الرواية العربية ، دار الحقيقة للإعلام الدولي ، ط 1 ، 1411 هـ - 1990 م .

17. عبد العزيز بن عثمان التويجري ، التراث و الهوية ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم الثقافية ، ايسيسكوا ، 1432 هـ - 2011م .

18. عبد القادر عيسى رحمه الله ، حقائق عن التصوف ، التصوف كله أخلاق فمن زاد عليك بالأخلاق عليك بالتصوف ، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية ، د ت ، د ط .

19. عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، (بحث في تقنيات السرد) ، صدرت السلسة في شعبان ، 1988 ، بإشراف أحمد مشاري العدواني ، دط ، 1990.

20. عزيزة مريدن ، القصة و الرواية ، دار الفكر ، دمشق ، ط 1 ، 1981 م .

21. فوزي العنتيل ، الفلكلور ما هو ؟ لدراسات في التراث الشعبي ، القاهرة ، ط 2 ، 1407 هـ - 1987 م .

22. لخضر حليم ، صورة المرأة في الأمثال الشعبية ، دار النشر ، المؤسسة الصحفية للنشر و التوزيع و الاتصال ، ط 2 ، 2011 .

23. ماري شيمل ، ترجمة محمد إسماعيل السيد ، رضا حامد ، الأبعاد الصوفية في الإسلام و تاريخ التصوف ، منشورات عمل كولونيا ، بغداد ، 2006 .

24. مجدي بن عبد الوهاب أحمد ، حصن المسلم من أذكار الكتاب و السنة ، صححه و علق عليه مؤلف حصن المسلم .

25. محمد الأمين بن المختار ، إيجيكي الشنقيطي ، تفسير القرآن بالقرآن ، من أصول البيان ، دار الفضيلة ، دار الهدي النبوي ، مصر المنصورة ، 1426 هـ-2005 م.

26. محمد الدغمومي ، الرواية المغربية و التعبير الاجتماعي ، دراسة سوسيو ثقافة ، إفريقيا ، الشرق للنشر ، دط ، 1990.

27. محمد خطيب كامل ، الرواية و الواقع ، دار الحداثة ، بيروت ، ط1 ، 1981 .

28. محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات اتحاد العرب ، دمشق ، 2002 م .

29. محمد سعيدي ، الأدب الشعبي بين النظرية و التطبيق ، ديوان المطبوعات الجامعية.

30. محمد عابد الجابري ، التراث و الحداثة ، (دراسات و مناقشات) ، مركز الوحدة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 1991 م .

31. مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، (بحث في الرواية المكتوبة بالعربية)، منشورات دار الأديب ، ط1 .

32. مصطفى الشاذلي ، التراث اللغوي الشفاهي ، منشورات لكلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2005 .

33. نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار غريب للطباعة ، ط 3 ، القاهرة 1981 .

34. يوسف علي بديوي ، عصر الدويلات الإسلامية ، (في المغرب و المشرق من الميلاد غلى السقوط) ، الطبعة الأولى ، 1431 هـ - 2010 م .

مراجع مترجمة :

1. روجر آلن ، ترجمة إبراهيم المنيف ، الرواية العربية (مقدمة تاريخية

2. غوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، الآراء و المعتقدات ، جميع الحقوق محفوظة للناشر ، مدينة ناصر ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، دط ، 1982 .

المجلات :

1. مجلة حوليات التراث ، فاطمة داود ، التصوف الاسلامي مفهومه و أصوله ، العدد 1 جامعة مستغانم ، الجزائر ، 2004 .

قائمة الرسائل الجامعية :

2. محمد عبد الرحمن الجبوري ، عادل كريم سالم ، عصام عبد الأحد ، مستويات الموروث الشعبي في العمل الفني ، بحث مستل من أطروحة دكتوراه ، فلسفة ، (توظيف الموروث الشعبي في النظر المسرحي العراقي) ، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، العدد التاسع و الخمسون .

3. زهية طرشي ، تشكيل التراث في أعمال مفلاح الروائية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب و اللغة العربية ، 2015 – 2016 ، بسكرة .

4. بوجملة سميرة ، توظيف التراث الشعبي في رواية " صوت الكهف " لعبد الملك مرتاض ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، 2015 – 2016 .

5. سهام معمري ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، " الحواث و القصر " لطاهر وطار ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، 2014 – 2015 ، جامعة المسيلة .

6. الضاوية عاشور ، توظيف التراث في رواية حارسة الظلال لوسيني الأعرج ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، 2015 – 2016 ، جامعة المسيلة .

7. مصطفى فنطازي ، تجليات التراث في رواية " صوت الكهف " لعبد الملك مرتاض مذكرة لنيل شهادة الماستر ، 2014 – 2015 ، جامعة قسنطينة .

8. منى نصر الدين ، توظيف التراث في رواية " رمل الماية "، لو اسيني الأعرج ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، 2012 – 2013 .

المواقع الالكترونية :

1. ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، wikihttpM//ar.mwikipedia org .

2. الانترنت ، http-s//or,wikipedia or/wik .

3.الانتر نت ، httpM/mawdoo3com .

فهرس الموضوعات

لموضوع	الصفحة
• مقدمة	أ- ب
مدخل : ماهية الرواية و علاقتها بالتراث .	
1- ماهية الرواية	05
2- نشأة الرواية العربية و علاقتها بالتراث	10
3- علاقة التراث بالرواية	12
الفصل الأول : ماهية التراث و أنواعه	
1- مفهوم التراث .	16
أ- المعنى اللغوي	16
ب- المعنى الاصطلاحي	18
2- التراث عند العرب	22
أ-مفهوم التراث عند المحافظين	24
ب-مفهوم التراث عند أصحاب الحداثة	25
ج- الموقف الجدلي	26
3- مستويات التراث	27
4- مواقف التراث	29
5- بواعث توظيف التراث في العربية المعاصرة	31
6- أنواع التراث	32
أ- التراث الديني	32
ب- التراث الصوفي	33
ج- التراث الشعبي	35
د- التراث التاريخي	38

هـ - التراث الأسطوري	39
و -التراث الأدبي	40
الفصل الثاني : تجليات أنواع التراث في رواية " درب الأربعين " لماجد طه شيحة :	
1- تجليات التراث الديني	43
2- تجليات التراث الصوفي	58
3- تجليات التراث الشعبي	67
4- تجليات التراث التاريخي	80
5- تجليات التراث الأسطوري	86
6- تجليات التراث الأدبي	90
• الخاتمة .	94
- الملاحق :	95
1- ماجد طه شيحة (حياته و أعماله)	96
2- ملخص رواية درب الأربعين	97
قائمة المصادر و المراجع .	100
فهرس الموضوعات .	106
ملخص بالعربية والإنجليزية	

ملخص:

عنوان هذه المدونة يعالج ظاهرة تجليات التراث في رواية درب الأربعين لماجد طه شيحة ، و يرجع اختيارنا لهذه الرواية كونها رواية جديدة ، ولافتة للانتباه للكثير من ا لروائيين ، وهذا يعود ذلك طبعا إلى النضج العلمي و الفكري للروائي .

و كانت غايتنا من هذه الدراسة ، الكشف عن تجليات التراث في رواية درب الأربعين .

ولذلك احتوت هذه الدراسة على مدخل لماهية الرواية وعلاقتها بالتراثوفصلينالفصل الأول : ماهية التراث و أنواعه ، (ديني ، صوفي ، شعبي تاريخي، أدبي ، أسطوري) ، و في الفصل الثاني تجليات أنواع التراث في رواية درب الأربعين .

الكلمات المفتاحية :التراث ، الرواية، تجليات

Summary :

The title of pris thesis zith the apparencece of heritage as phenomena in “ darb El arban “ or wath we caleed forty path for majidtaha , and we have chosen this naval as to be a modem one imaddition to that it has qttracted the attention of many another , and the reason behind that was ac twaly his fulling

key words ; heritage, the novel, Manifestations